

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

أغسطس ٢٠٠٦ - العدد ٢٥٢

الأدب اليمني: لابد من صنعاء وإن طال السفر

الهلالى: نبيل اليسار المصرى

أمجاد القديس شارون

المقاومة
فى خيال
الشعب

متى يعلنون
وفاة العرب؟

صفيحة
يشاركمال
التركية



أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الثالثة والعشرون
العدد ٢٥٢ أغسطس ٢٠٠٦



رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد
رئيس التحرير: فريدة النقاش
مدير التحرير: حلمي سالم
سكرتير التحرير: عيد عبد الحليم

مجلس التحرير: إبراهيم أصلان/
أحمد الشريق/ د. صلاح السروي/
جرجس شكري/ طلعت الشايب/
د. علي مبروك/ علي عوض الله/
غادة نبيل/ كمال رمزي/

المستشارون

د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر
محمد روميث / ملك عبد العزيز

تصميم الغلاف
أحمد السجيني
إخراج فنى
عزة عز الدين

مراجعة لغوية
أبو السعود على
لوحة الغلاف الأمامى والخلفى والرسوم الداخلية
للفنانة اليمينية: أمنة نصيري

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالى / مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٥٠ جنيها
البلاد العربية ٥٠ دولار / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولار
شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا تريد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر يمكن
إرسال الأعمال على العنوان البريدى أو البريد الإلكتروني:

adabwanaq d@yahoo-com

موقع (أدب ونقد) على الانترنت:

adabwanaq d.4t.com

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسله عن ثمانى صفحات
أو ثلاثة آلاف كلمة

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب/ الأهالى
القاهرة/ هاتف ٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المحتويات

- * أول الكتابة / ابتداء الأمل / المحررة ٤
- متى يعلنون وفاة العرب؟ / شعر / نزار قباني ٩
- * وردة إلى نبيل الهلالي:
- القربان / شعر / محمود درويش ١٤
- رسالة من نصر حامد أبو زيد ١٧
- اعتذار عن كتابة قصيدة / شعر / زين العابدين فؤاد ١٩
- * ملف الأدب اليميني: إعداد وتقديم: عيد عبد الحليم ٢١
- (إبراهيم أبو طالب / د. راتب سكر / حسن اللوزي / هدى العطاس / خالد الرويشان / علي دهيس / نبيلة الزبير / د. عبد العزيز المقالح / سمير عبد الفتاح / د. عبد الولي الشميري / هدى أبلان / محمد القمود / علي المقرري / عبد الرحمن غيلان / سوسن العريقي / أحمد السلامي / ابتسام المتوكل / أحمد العواضي / عبد الوهاب الحراسي / صلاح الشامي / محمد حسين هيثم)
- المقاومة ونقد الثقافة / دراسة / فريدة النقاش ٨١
- المقاومة في الخيال الشعبي (على الزبيقي) دراسة / د. محمود إسماعيل ... ٩٣
- * الديوان الصغير / أمجاد القديس «شارون» شعر / إريش فريد / ترجمة وتقديم: د. يسرى خميس / رؤية ورسوم: محمود الهندي ١٠٢
- محمد مندور وقضية فلسطين / دراسة د. إيمان السعيد جلال ١١٩
- يشار كمال والأدب التركي / ترجمة / إيمان عبد المؤمن ١٢٥
- الدور علي الغرباء / شعر / يزيد الديراوى ١٣٩
- وردة صفراء / قصة / مازن نبيل ١٤٢
- العمر / قصة / خالد أشرف عامر ١٤٣
- * إشارات / نبيل الهلالي / رجاء النقاش ١٤٤

أول الكتابة

لابتداع الأمل

حين سألتني المذيعة إن كان إحساس الشباب بالعجز وقلة الحيلة إزاء العدوان الإسرائيلي الهمجي على كل من فلسطين ولبنان، - والآلام التي يتحملها الشعبان بينما تتفرج الحكومات العربية وحتى الشعوب - إن كان ذلك كله سوف يلعب دوراً سلبياً في التكوين النفسي لهؤلاء الشباب في مستقبل الأيام، وما ثلث أن نجد أنفسنا أمام أجيال لحقتها تشوهات غائرة وإزداد في أوساطها المرض النفسي أو العدمية واللامبالاة واليأس .

ولما كان السؤال متضمناً ما يشابه الإجابة فقد تركت الإجابة معلقة، إذ أن أحداً لا يستطيع أن يجزم لكنني أخذت استدعى انتصارات الشعوب ورحلات العذاب التي قطعتها من أجل تحريرها، وطرق الآلام التي مشت فيها تبتكر الأمل في كل خطوة لتصنع انتصارها في خاتمة المطاف بعد أن تكون قد دفعت ثمنه دماً ودموعاً .. عرقاً وجهداً ولتضحيات بلا حصر .

أخذت أفتش في الذاكرة عن تفاصيل رحلتى إلى «فيتنام» قبل أعوام قليلة، وكيف أننى توأنت ووصلت طلبت من مرافقى زيارة متحف الحرب في «سايجون» التي أطلقت عليها الحكومة الفيتنامية بعد التحرير اسم الزعيم الوطنى الشاعر «هوش منه» الذى يكاد الفيتناميون أن يقدسوه لا فحسب لأنه قاد عملية تأسيس الحزب الشيوعى الفيتنامي، وقاد حرب التحرير ضد كل من الاحتلال الفرنسى والاحتلال الأمريكى، وإنما أيضاً لأنه عاش حياة بالغة

التواضع والبساطة قريبا من الطبيعة رغم إشغاله بتكتيكات الحرب واستراتيجياتها على امتداد العمر، وكتب شعرا يفيض عذوبة وشجنا ومحبة للإنسانية. وحين أصبح رئيسا لجمهورية «فيتنام» الشمالية رفض أن يقيم في أحد القصور التي كانت مخصصة للحاكم الفرنسي للبلاد، واختار بيتا صغيرا كان مخصصا لحراسة أحد هذه القصور لأنه وجد القصر كبيرا جدا وربما موحشا، وفي بيت الحراسة هذا زارته أخته القادمة من الريف بثيابها البسيطة وحاول الحراس منعها من الدخول إلى أن رآها هو، فلم يكن الزعيم الشعبي العظيم قد انشغل بتكوين ثروات له ولأسرته التي عاشت في الريف كما كانت وظلت تفلح الأرض وتاكل من عرق جبينها بين الفلاحين دون أن تسلم عنهم أو تتعالى عليهم..

وفي المتحف رأيت صورة لا تنسى أخذت أركبها في خيالي على ما كنا قد شاهدناه عبر شاشات التلفزيون بل وبعض أفلام السينما الأمريكية المناهضة للحرب في فيتنام أثناء اشتغالها في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي وذلك حين تصاعدت حركة التضامن العالمي مع شعب فيتنام.

وأجدني الآن كما كنت ساعة الزيارة عاجزة عن أن أجد الكلمات لوصف الهمجية أو ما سماه الروائي «جميل عطية إبراهيم» «بالحالة الهمجية» وهو عنوان روايته الأخيرة بدلالاته المركبة وتركيزه البالغ حيث يتقدم الوحش في صراعه ضد الإنسان وهو يسعى لهزيمة إنسانيته.

في مدخل المتحف كانت تريض طائرات ودبابات ومدافع متطورة هي غنائم الحزب التي استولى عليها جيش التحرير الفيتنامي وغالبية مقاتليه هم من الفلاحين الفقراء الذين كان قد جرى تعليمهم وتنظيمهم وتدريبهم على كل من القتال النظامي وحرب العصابات، وكان هؤلاء الفلاحون هم وقود الحرب وأذرعها، وهم أيضا عماد الحياة المدنية التي تواصلت تحت القصف فكان الزرع والقلم وإدارة المدارس والمستشفيات وكل صور الحياة العامة.. وكانوا قد دخلوا في تحالف وثيق مع كل من العمال والطبقة الوسطى بغية تحرير البلاد.

كانوا يقودون الحرب ويواصلون الحياة في مواجهة أعتى جيوش العالم وأحدثها.. هو الجيش الذي كان قبل ربع قرن فقط قد ألقى أول قنبلتين ذريتين على مدينتي «هيروشيما» و«نجازاكي» في اليابان بعد أن كانت الحرب العالمية قد انتهت واستسلمت كل من اليابان

والمانيا.

وكان الأمريكيون بهذا العمل الهمجى الذى قتل من جرائه مئات الآلاف وتشوه مثلهم وافنقر إلى المشروعية ولم تكن له ضرورة يرسلون للعالم رسالة تقول:

- إنه العصر الأمريكى، عصر القوة التى لا رادع لها.

تماما كما ترسل إسرائيل الآن بأعمالها فائقة الوحشية فى فلسطين ولبنان رسالة إلى العرب جميعاً تقول فيها:

- إنه العصر الإسرائيلى وعليكم أن تقبلوا بشروطه صاغرين .. تقبلوا باحتلال أراضيكم وتمزيقها، وتهديم مدنكم وقراكم إذا رفعتم رؤوسكم تقبلوا بانتهاك سيادتكم وتمزيغ أنوفكم فى التراب فلا يحق لكم أن تتأوهوا أو تحتجوا أو ترفعوا رؤوسكم وهى رسالة طالما تلقتها الشعوب من المحتلين والطغاة وردت عليها حتى وإن تأخر الرد.

فقد علمنا التاريخ أنه ما ضاع حق وراؤه مطالب، وأن أصحاب القضية العادلة حتى لو كانوا ضعفاء فى مواجهة القوة الفاشمة ما أن ينظموا صفوفهم ويدافعوا عن قضيتهم تملؤهم روح التضحية والفداء وعدم الخوف من العدو إلا وينصفهم التاريخ ولو بعد حين. وهذا هو بالضبط ما حدث مع الاستعمار الاستيطاني الفرنسى الذى دام فى الجزائر مائة وثلاثين عاما وخرج مدحورا بعد مقاومة شعبية بأسلة لم ييخل فيها الشعب بشئ» من أجل حريته.

وبعد ثلاثين عاما من إسقاط القنبلتين الذريتين على المدينتين اليابانيتين كان أقوى جيش فى العالم يتلقى هزيمة موجعة فى فيتنام ويخرج منها مجللا بالعار.

وسوف يبقى محفورا فى ذاكرة البشرية مشهد الجنود الأمريكين وهم يتسلقون فى هلع سطح مبنى السفارة الأمريكية فى «سايجون» لتلتقطهم طائرات الهيلوكبتر كفتران مذعورة تلاحقهم قوات جيش التحرير الفيتامى وهم يهربون...

كان هذا المشهد واحدا من علامات التاريخ الكبرى فى القرن العشرين التى تقول إنه بوسع الأقل قدرة أن ينتصر على الأقوي، وأن حسابات القوة المادية وحدها ليست هى الحاسمة، ويوسع الشعوب أن تضيف إلى هذه الحسابات قوة إرادتها وتصميمها وروحها المعنوية ويقينها بالنصر.

صحيح أن جبهة التحرير الوطنى الفيتنامية كانت قد توفرت لها ظروف دولية مواتية. كان

الاتحاد السوفيتي ما يزال موجودا، وما زال سياسته الخارجية بل والداخلية داعمة لحق الشعوب في تقرير مصيرها، مساندة لكل حركات التحرر الوطني في العالم، ولا ننسى هنا أن الإنذار السوفيتي للدول المعتدية على مصر بعد تأميم «جمال عبد الناصر» للشركة العالمية لقناة السويس البحرية لتصبح شركة مساهمة مصرية قبل نصف قرن إن هذا الإنذار كان عنصرا فاعلا وأساسيا في إنهاء العدوان الثلاثي على مصر وانسحاب إسرائيل صاغرة من سيناء التي كانت قد احتلتها للمرة الأولى بعد اغتصاب فلسطين.

والآن فإن موازين القوى العالمية قد اختلت بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانغماس الصين في مصالحها والتخلي واقعيا عن حركات التحرر الوطني التي سقطت خاصة في منطقتنا بين سندان الإمبريالية والصهيونية من جهة ومطرقة النظم التابعة لهما من جهة أخرى والتي أدت استبدادها إلى خنق الحركة الجماهيرية وتفاقم اليأس والإحباط في أوساط الشباب الذي تزلزله قلة الحيلة والشعور بعدم الجدوى والانسحاق أمام العدو.

أعاد سؤال المذبة إلى ذاكرتي تفاصيل مناقشاتى مع شباب «فيتنام» الجديد، شباب ما بعد الانتصار ومعظمهم لم يكن قد خرج من الطفولة في أوج هذه الحرب، لكننى وجدتهم يعرفون جيدا أن الأمريكين خرجوا مدحورين، وأن وحدة شمالى البلاد مع جنوبها تمت فور التحرير وتحولت «سايجون» عاصمة الجنوب إلى «هوش منه» ويعرفون أيضا أن الإمبريالية الأمريكية ماتزال قوية جدا وأن بلادهم لم تتوقف عن مواجهتها وإن اتخذت هذه المواجهة شكلا جديدا وسليما عبر التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتواصلة مع الحفاظ على طابع التوجه الاشتراكي يلهمهم شعار كان قد أطلقه الزعيم الصينى «ماوتسى تونج» أثناء الثورة الثقافية يقول الشعار:

- من الأفضل أن نسير ببطء نحو الاشتراكية من أن نسير بسرعة نحو الرأسمالية.

وإن وجدت أن هؤلاء الشباب رغم تضامنهم المطلق مع الشعوب العربية فى مواجهة العدوان الإمبريالى - الصهيونى وذلك طبقا لتوجهات الحزب والدولة إلا أن معلوماتهم عن الصراع ناقصة ومبتورة، ولكن ما أن كنا نتناقش وأسوق لهم معلومات عن همجية إسرائيل واحتقارها للشرعية الدولية وللحياة الإنسانية ذاتها إلا ويبدون استعدادا كبيرا جدا ويطالبون الأفكار لتعظيم تضامنهم خاصة مع الفلسطينيين.

ربما كان تسييس الشباب إذن هو خطوة أولى لحمايتهم من الشعور بالعجز والإحباط،

وفتح الأبواب أمامهم عبر الوعي الجديد ليكونوا جزءاً من الحركة العالمية المناهضة للعولمة التي تضع تحرير فلسطين وإنشاء دولة مستقلة لشعبها على أرضه في القلب من أولوياتها.

تعرف الحركة العالمية المناهضة للعولمة طبيعة العلاقات الجدلية بين كل من الإمبريالية والعنصرية والاستغلال وهو ما يحتاج إلى وعى جديد ورؤية جديدة للعالم. إن ما يضرب فلسطين ولبنان الآن في العمق ويكاد ينطبق على كل البلاد العربية بدرجة أو أخرى هو أيضاً بالإضافة للإمبريالية والعنصرية والاستغلال منظومة من القيم الاستهلاكية الشائعة التي تجعل نمط الاستهلاك في الغرب وخاصة استهلاك الطبقات الثرية والوسطى مثلاً أعلى يتحاز له الشباب حتى لو كانوا من غير القادرين، ويستهلكون طاقاتهم من أجل الوصول إليه بينما يسقطون ومعهم الفئات الشعبية في البؤس والحرمان يوماً بعد يوم فيزداد الإحباط والعجز واللامبالاة.

سوف يفتح لهم التيسيس باب منظومة ثانية تنهض أساساً على الوعي الجديد وقوة الروح والالتزام أو الاندماج في النشاط السياسي والاجتماعي ضمن مشروع لتغيير العالم. والشباب هم بحكم طراجة أحلامه ورؤاه هو أكثر استعداداً لانتقاد الأنانية والنزعات الفردية المدمرة والقهوة والشطارة والاستهلاك العدمي لأنه يتطلع للامتلاء الروحي والمثل العليا الإنسانية، وما أن يدخل إلى مناطق الوعي الجديد إلا ويأخذ في ابتداع الأمل. المهم أن لا ترتبط فكرة التيسيس بالمهمات الكبيرة وحدها، ففي أي عمل صغير وأولى يدعم الشعبين اللبناني والفلسطيني بطولة.. وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة، وصراعنا مع الإمبريالية والصهيونية والاستغلال والنهب ممتد ومرير، والمؤسسات المطالبة بالنهوض بعملية التيسيس الشامل لهؤلاء الشباب كثيرة من أحزاب ونقابات ومنظمات مجتمع مدني وإعلام وشخصيات عامة وقائدة.

لا أعرف إن كنت قد قدمت رداً شافياً للذريعة الشابة على سؤالها، وقد كانت هي نفسها تخطق بالدموع وهي تسألني عن عجز الشباب.. وعن الأمل.. وطالما فكرت في ابتداع الأمل.

المحررة

متى يعلنون وفاة العرب؟

نزار قباني

- ١ -

أحاولُ منذ الطفولةِ رسمَ بلادٍ
تُسمّى - مجازاً - بلادَ العربِ
تُسامحني إن كسرتُ زُجاجَ
القمرِ...
وتشكرني إن كتبتُ قصيدةَ حبٍ
وتسمحُ لي أن أمارسَ فعلَ الهوى
ككلِّ العصافير فوق الشجرِ...
أحاول رسم بلادٍ
تُعلمني أن أكونَ على مستوى
العشقِ دوماً.
فأفرشُ تحتكِ ، صيفاً ، عباءةَ حبي

- ٢ -

وأعصرُ ثوبكِ عند هطولِ المطرِ...
أحاولُ رسمَ بلادٍ...
لها برلمانٌ من الياسمينِ.
وشعبٌ رقيقٌ من الياسمينِ.
تنامُ حمانمُها فوق رأسي.
وتبكي مآذنها في عيوني.
أحاول رسم بلادٍ تكونُ صديقةً
شِعري.
ولا تتدخلُ بيني وبين ظُنوني.
ولا يتجولُ فيها العساكرُ فوق
جيبيني.

أحاولُ رَسْمَ بلادٍ...

تُكافئني إن كتبتُ قصيدةً شِعْرٍ
وتصفّحُ عني ، إذا فاض نهرُ
جنوني

- ٦ -

أحاولُ إحراقَ كلِّ النصوصِ التي
أرتديها .
فبعضُ القصائدِ قَبْرٌ ،
وبعضُ اللغاتِ كَفَنٌ .
وواعدتُ آخرَ أنثى...
ولكنني جنْتُ بعدَ مرورِ الزمنِ...

- ٣ -

أحاولُ رسمَ مدينةٍ حبٍ...
تكونُ مُحَرَّرةً من جميعِ الحَقْدِ...
فـلا يـلـذـبـحـون الأثوثةَ
فيها... ولا يقيمون الجَسَدَ...

- ٤ -

- ٧ -

أحاولُ أن أتبرأَ من مُفْرَداتي
ومن لَعْنَةِ المبتدأ والخبر...
وأنفُضَ عني غُبَارِي .
وأغسلَ وجهي بماءِ المطرِ...
أحاولُ من سلطةِ الرَّمْلِ أن
أستقيلَ...
وداعا قريش...
وداعا كليب...
وداعا مُضَرَ...

رَحَلْتُ جَنُوباً .. رحلتُ شمالاً...
ولافانده...
فقهوةُ كلِّ المقاهي ، لها نكهةُ
واحدة...
وكلُّ النساءِ لهنَّ - إذا ما تعرَّينَ -
رائحةُ واحدة...
وكلُّ رجالِ القبيلةِ لا يُمَضِّفون
الطعامَ
ويلتهمون النساءَ بثانيةٍ واحدة.

- ٨ -

أحاولُ رَسْمَ بلادٍ

- ٥ -

أحاولُ منذُ البداياتِ...

تُسَمَّى - مجازاً - بلادُ العربِ

سريري بها ثابتٌ

ورأسي بها ثابتٌ

لكي أعرفَ الفرقَ بينَ البلادِ وبينَ

السُّفُنِ...

ولكنهم...أخذوا غُلبَةَ الرسمِ مِنِّي.

ولم يسمحوا لي بتصويرِ وجهِ

الوطنِ...

وطُهرَ العربِ...

وارثِ العربِ...

فيا للعجبِ!!

- ١٠ -

أحاول أن أتصورَ ما هو شكلُ

الوطنِ؟

أحاول أن أستعيدَ مكانِي في بطنِ

أُمِّي

واسيحَ ضدَ مياهِ الزمنِ...

وأسرقَ تينا ، ولوزا ، وخوخا.

وأركضَ مثلَ العصافيرِ خلفَ

السُّفُنِ.

أحاول أن أتخيّلَ جنّةَ عَدْنِ

وكيف سناقضي الإجازةَ بينَ نُهورِ

العقيقِ...

وبينَ نُهورِ اللبَنِ...

وحينَ أفقتُ...اكتشفتُ هُشاشةَ

حُلُمِي

فلا قمرَ في سماءِ أريحا...

ولا سمْكاً في مياهِ القُرَاتِ...

ولا قهوةَ في عَدْنِ...

- ٩ -

أحاول منذَ الطفولةِ

فَتَحَ فضاءٍ منَ الياسمينِ

وأسستُ أولَ فندقٍ حبٍّ...بتاريخِ

كل العربِ...

ليستقبلَ العاشقينَ...

والغيتُ كلَ الحروبِ القديمةِ...

بينَ الرجالِ...وبينَ النساءِ...

وبينَ الحمامِ...ومنَ يذبحونَ

الحمامَ...

وبينَ الرخامِ ومنَ يجرحونَ بياضَ

الرخامِ...

ولكنهم...أغلقوا فندقِي...

وقالوا بأنَ الهوى لايلبِقُ بماضِي

العربِ...

- ١١ -

أحاول بالشَّعْر... أن أُمسِكَ
المستحيل...

وأزرعُ نخلا...

ولكنهم في بلادِي ، يَقْصَوْنَ شَعْرَ
النخيل...

أحاول أن أجعلَ الخيلَ أعلى
صهيلا

ولكن أهْلَ المدينة تَحْتَقِرُونَ
الصهيل!!

- ١٢ -

أحاول - سيدتي - أن أحبك...

خارجَ كلِّ الطُّفوس...

وخارجَ كلِّ النصوص...

وخارجَ كلِّ الشرائعِ والأنظمةِ

أحاول - سيدتي - أن أحبك...

في أيِّ منفى ذهبت إليه...

لأشعرَ - حين أضْمَكِ يوما لصدرِي

-

بأنِّي أضْمُ ترابَ الوَطَن...

- ١٣ -

أحاول - مذُ كنتُ طفلا ، قراءة أي
كتابٍ ،

تحدّثُ عن أنبياء العرب.

وعن حكماء العرب... وعن شعراء
العرب...

فلم أرَ إلا قصائدَ تلحسُ رجلَ
الخليفة

من أجل جَفَنَةِ رزٍ... وخمسين
درهم...

فيا للعجب!!

ولم أرَ إلا قبائلَ ليست تُفرِّقُ ما بين
لحم النساء...

وبين الرُطْب...

فيا للعجب!!

ولم أرَ إلا جراند تطلع أثوابها
الداخلية...

لأي رئيسٍ من الغيب يأتي...

وأي عَقِيدٍ على جُذَّةِ الشعبِ
يمشي...

وأي مُرابٍ يُكْسِ في راحتِيه
الذهب...

فيا للعجب!!

- ١٤ -

أنا منذ خمسينَ عاما،

أراقبُ حالَ العرب.

وهم يَرْعُدُونَ ، ولا يَمْطُرُونَ...

رأيتُ جُيوشاً... ولا من جيوش...

رأيتُ فتوحاً... ولا من فتوح...

وتابعتُ كلَّ الحروبِ على شاشةِ
التلفزة...

فقتلى على شاشة التلفزة...

وجرحى على شاشة التلفزة...

ونصرُ من الله يأتي إلينا... على
شاشة التلفزة...

- ١٧ -

أيا وطني: جعلوك مسلسلَ رُعبٍ

نتابع أحداثه في المساء.

فكيف نراك إذا قطعوا الكهزياء؟؟

- ١٨ -

أنا... بعدَ خمسين عاماً

أحاول تسجيل ما قد رأيت...

رأيتُ شعوباً تظنُّ بأنَّ رجالَ
المباحث

أمرُّ من الله... مثلَ الصّداغ... ومثل
الزّكام...

ومثلَ الجذام... ومثلَ الجرَب...

رأيتُ العروبةَ معروضةً في مزارِ
الأثاث القديم...

ولكنني... ما رأيتُ العربَ!!...

وهم يدخلون الحروب ،

ولا يخرجون...

وهم يعلكون جلود البلاغة علّكا

ولا يهضمون...

- ١٥ -

أنا منذ خمسين عاماً

أحاولُ رسمَ بلادٍ

تُسمّى - مجازاً - بلادَ العربِ

رسمتُ بلونَ الشرايينِ حيناً

وحيناً رسمت بلونَ الغضبِ.

وحينَ انتهى الرسمُ ، سألتُ

نفسي:

إذا أعلنوا ذاتَ يومِ وفاةَ العربِ...

ففي أيِّ مقبرةٍ يُدفنون؟

ومن سوف يبكي عليهم؟

وليس لديهم بنات...

وليس لديهم بنون...

وليس هناك حُرٌّ ،

وليس هناك من يحزنون!!

- ١٦ -

أحاولُ منذُ بدأتُ كتابةَ شعري

قياسَ المسافةِ بيني وبين جدودي

العرب.

القریان

محمود درویش

هيا.. تقدم أنت وحدك، أنت وحدك
حولك الكهان ينتظرون أمر الله، فاصعد
أيها القریان نحو المذبح الحجري، ياكبش
الفداء.. فدائنا.. واصعد قويا

لك حبنا، وغناؤنا المبحوح في
الصحراء، هات الماء من غيش السراب،
وأيقظ الموتى! ففى دمك الجواب، ونحن
لم نقتلك.. لم نقتل نبيا
إلا لنمتحن القيامة، فامتحننا أنت
فى هذا الهباء المعدنى. وميت لتعرف
كم نحبك.. كم نحبك! ميت لتعرف
كيف يسقط قلبك الملان، فوق دماننا
رطبا جنيا:

لك صورة المعنى. فلا ترجع إلي
أعضاء جسمك. وأترك أسمك فى الصدى
صفة لشئ ما. وكن أيقونة للحائرين
وزينة للساهرين، وكن شهيدا شاهداً

● تهدى (أدب ونقد) هذه القصيدة إلي روح أحمد نيل الهلالى.

طلق المحيا
فبأي آلاء نكذب؟ من يطهرنا
سواك؟ ومن يحررنا سواك؟ وقد
ولدت نياية عنا هناك، ولدت من نور
ومن نار. وكنا نحن نجارين موهوبين في
صنع الصليب، فخذ صليبك وارتفع
فوق الثريا
سنقول: لم تخطئ، ولم نخطئ، إذا
لم يهطل المطر انتظرناه، وضحيننا بجسمك
مرة أخرى، فلا قربان غيرك. يا حبيب
الله، يا ابن شقائق النعمان، كم من
مرة ستعود حيا!
هيا، تقدم أنت وحده، يا إستعارتنا
الوحيدة فوق هابوية الغنائين. نحن الفارغين
النائمين على ظهور الخيل.. نسالك الوفاء،
فكن وقياً للسلالة والرسالة. كن وقياً
للأساطير الجميلة وكن وقياً!
وبأي آلاء نكذب؟ والكواكب في
يديك، فكن إشارتنا الأخيرة، كن عبارتنا
الأخيرة في حطام الأبجدية «لم نزل
نحيا، ولو موتى»، على دمك اتكلنا.
لنا، وأضىء لنا دمك الزكيا!
لم يعتذر أحد لجرحك. كلنا قلنا
لروما: «لم تكن معه». وأسلمناك للجلاد.
فأصفع عن خيانتنا الصغيرة، يا أخانا
في الرضاعة، لم تكن ندرى بما يجري،
فكن سمحا رضيعا.
سنصدق الرؤيا ونؤمن بالزواج القدس
بين الروح والجسد المقدس. كل ورد
الأرض لا يكفي لعرشك، خفت الأرض،

استدارت، ثم طارت كالحمامة فى سماءك.
ياذ بيحنتنا الأنيقة، فاحترق لتضيينا، ولتنبثق نجماً
قصياً.

أعلى وأعلى ، لست منا أن نزلت
وقلت: «لى جسد يعذبنى على خشب
الصليب». فإن نطقت.. أفقت، وانكشفت
حقيقتنا . فكن حلما لنحلم.. لا تكن بشراً
ولا شجراً. وكن لغزاً عصياً

كن همزة الوصل الخفيفة بين آلهة
السما والبيننا، قد تمطر السحب العقيمة
من نوافذ حرقك العالي، وكن نور البشارة،
واكتب الرؤيا على باب المغارة، واهدنا
درياً سوياً

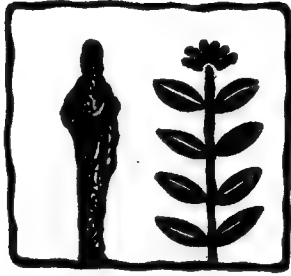
وليحتفل بك كل ما يخضر من
شجر ومن حجر، ومن أشياء تنساها
الفراشة فوق قارعة الزمان قصيدة..
وليحتفل بك كل من لم يملك ذكرى،
ولا قمراً بهياً.

لا تنكسر! لا تنتصر، كن بين
بين معلقا، فإذا انكسرت كسرتنا، وإذا
انتصرت كسرتنا، وهمت ميكلنا، إذن،
كن ميتا - حيا، وحيا - ميتا، ليواصل
الكهان مهنتهم، وكن طيفاً خفيفاً
ولتبقى وحدك عالياً، لا يلمس الزمن
الثقل مجالك الصبوري، فاصعد ما استطعت،
فأنت أجملنا شهيداً، كن بعيداً ما استطعت.
لكى نرى فى الوحى تلك أرجوانى الخريطة
والسلام عليك يوم ولدت فى بلد السلام.
ويوم مت، ويوم تبعث من ظلام الموت
حياً!

رسالة وداعاً نبيل الهالالي

د.نصر حامد أبو زيد
(من هولندا)

وضع القضية في قفص الاتهام	لأنه كان أمة وحده، شرفاً وعفة
فصارت منصة العدل خاوية	وصدقا ونزاهة ونبلًا، اجتمع الوطن
	كله لتأبينه.
من حَقَّك عزيزي نبيل أن تقرر	عزيزي نبيل:
الرحيل	في الليلة الظلماء يفقد البدر
فَعَقَّك لم يعد يحتفل كل هذا	لم يمر الوطن - الذي اجتمع الليلة
اللامعقول	ليودعك - بأحلك من هذه الظروف
وقلبك فاض به الحزن	بلطجة سياسية
ولم يعد الجسد يحتفل كل هذا	وطحن للفقراء
العناء	وكبت للحريات
	تلويث لسمعة الشرفاء
من حَقَّك إن ترحل	وتلميع للانصاف وأشباه الرجال



لتعويض هذا الرحيل
أيها الوطن الذي اجتمع الليلة
لوداع أحد فرسانه العشاق
لقد مننتُ الدرس - نبيل: درس
الفروسية والعشق
أيها الوطن
كم نحبك
وسنستعيد لك بهاءك وجمالك
سنستعيد الحرية
ونحن ننزع عن وجهك قبح الطفيان
والفساد.

قلت لى فى مكالمتنا الهاتفية قبل
رحيلك بساعات
إنها علامات الشيخوخة المبكرة
وقلبت لك أمامنا الكثير من العمل
فشد حيلك.
لم تكن نمزح عزيزى نبيل
كلانا كان يعنى ما يقول
من حقلك أن ترحل
أردت فقط أن أقول لك اليرم
إن رحيلك يستلزم منا مضاعفة
الجهود

شعر

اعتذار عن كتابة قصيدة

زين العابدين فؤاد

(إلى نبيل الهلالي وفاطمة زكى)

مسقيه فرح وشجن	ثلاثين سنة
«اتلموا فى الشده»	وأنا نفسى أكتب للهلالي قصيدة.
تنزل سياط القهر على ضهره	
يجمع جروحه الناشفه	طب يعمل إيه الشعر؟
بإدين نحيله	يفتح له صفحة جديدة
يفزلها من تانى	
وردة تيوس وردة	يفتح لمين
يركب على مهره	للهلالي!
ينخل فى حلم الفجر	صوته كتاب الزمن
مع ملاك النوم	على جلدة الكتاب اسمه
يزور فاطمة	نبيل: الوطن
	حروفه، حكى وغنا

كتابه، هو هو كتابك
سامحيني يا فاطمة
على القصيدة اللي ما كتبتهاش

أنا اللي بتعلم غناه ويكاه
أنا اللي بنعس
لما تزيع طوايعه الخوف
وتمسح الرعبه

سامحيني يا فاطمة
كل اللي أخاف منه

أه
لو نبيل
يتعلم الوحدة

تلاتين سنه
والشعر متحير

ضله شجر
نكبر ما بين الجدر والأوراق
نتهجي أسامينا
نحفر قلوبنا
ما بين شمس الفروع
والساق

يجرح نظرنا
خلوة العشاق
نقرا الكلام ونبوح
«دا نبيل عشق فاطمة»
سامحيني يا فاطمة
وانتى فى غيابك

لا بد من صنعاء وإن طال السفر

«مختارات من الأدب اليمني»



إعداد وتقديم:
عيد عبد الحليم

ليس الإبداع وليد الصدفة بل نتيجة ممارسة روحية وإنسانية عميقة لذلك نرى النتاج الإبداعي معبراً عن الذات الإنسانية سواء فى إطارها الفردى أو عبر محيطها الجماعي.

ولعل من خصائص الإبداع العربى أنه ابن شرعى للمكان سواء أكان هذا المكان واقعياً أو متخيلاً، بارزاً أو هامشياً، وهناك عدد من الكتاب الذين أرخوا لأمكنة - صارت شهيرة - فى كتاباتهم ولم يكن أحد ليعلم بتفاصيلها لولا ورودها فى ثنايا قصصهم ورواياتهم وأشعارهم كما حدث مع حارة نجيب محفوظ أو حوارى طنجة وتطوان كما عند محمد شكري، وغيرها من الحالات الإبداعية المتفردة.

وتأتى صنعاء كواحدة من المدن العربية - ذات الخصائص التاريخية المميزة - لتلقى بظلالها على تجربة الأدب اليمنى فيكتب الراحل محمد عبد الولي روايته الأشهر «صنعاء مدينة مفتوحة» ليغوص بقلمه داخل التركيبة الاجتماعية ذات الطابع القبائلى ليستنطق المسكوت عنه من خلال سرده لأدق التفاصيل عن العلاقات السائدة بين سكان هذه المدينة، متتبِعاً حركة

الصعود الاجتماعي والسياسي وتأثيرها على التركيبة النفسية للأشخاص.
ويأتى الشاعر اليمنى الرائد «عبد الله البردوني» ليؤرخ لها فى ديوانه الشعري الممتد
عبر لغة تحفل بالتجديد الرؤيوى وأن جاء فى إطار القصيدة العمودية، ويعد
«البردوني» واحداً ممن تجاوزوا فكرة الشكل وثاروا على نمطية وأغراضه المتعارف
عليها فصارت القصيدة عنده وعاء لواقع اجتماعي يمور بالتحولات العاصفة.
ولم تكن - كذلك - تجربة «عبد العزيز المقالح» أحد رواد القصيدة الجديدة فى الوطن
العربي منفصلة عن المكان فكان ديوانه المبكر «لا بد من صنعاء» دليلاً واضحاً على
تجربة مغايرة تتسم بالافتحام والأسئلة عبر قناع أسطوري لا ينفصل عن دلالاته
الواقعية وأحلام العدل والحرية:

«أحديق حولى.. ماذا أرى؟

وطناً للعصافير

والفقراء وللطبيين،

ولا جند، لا حكم،

لا شرطة، لا زنازن

تنشرح الروح

تطفو على سدره الضوء

تنفض عنها رماد الكآبة

وهكذا يغنى الشاعر للوطن ولقضاياها، وهكذا يحتوى «المقالح» الأجيال الجديدة من
الأدباء والشعراء اليمنيين ويصف قصيدتهم فى كتاباته فى جريدة «الثورة» بأنها
«القصيدة الأجد» فى حين نرى كثيراً من شعرائنا الكبار فى مصر لا يرون إلا أنفسهم.
وفى ظل هذه الأجواء ظهرت أجيال شعرية وقصصية متنوعة الأداء كحسن اللوزى
وعبد الكريم الرازحى وخالد الريشان ومحمد الشامى ونبيلة الزبير ومحمد القعود
وعلى المقرئ وأحمد السلاسى وعبد الولي الشميرى وهدى العطاس وسوسن العريقى
وأحمد العواضي، وغيرها من الأسماء المهمة.

وإن يسعد «أدب ونقد» أن تقدم هذا الملف الخاص بالأدب اليمنى ليكون بمثابة تقديم
لجزء من الصورة فى هذا البلد الشقيق ليتعرف القارئ المصرى والعربى على تجربة
خاصة فى الإبداع . أملى أن يتواصل الخيط الإبداعي بين أقطار الوطن العربى من
خلال ملفات قادمة إن شاء الله.

عيد عبد الجليم

الخطاب الروائي اليمني (رؤية مختصرة في المسيرة والمضمون)

● إبراهيم أبو طالب

إن الحديث عن الخطاب الروائي اليمني كخنبس أدبي جديد يمتد من حيث الزمان إلى ٦٦ عاماً، هو عمر الرواية اليمنية حتى يوم الناس هذا، حيث يعد عام ١٩٣٩م هو عام ميلاد الرواية اليمنية، وهو العام الذي صدرت فيه رواية «سعيد» (١) للمثقف اليمني الرائد «محمد علي لقمان»، وهي أول رواية يمنية تصدر في عدن عن المطبعة العربية. ثم يتتابع وينمو رصيد الرواية اليمنية ليبلغ من حيث عدد الروايات المدونة قرابة الـ ٧٥ رواية هي مجمل ما كتب في هذا النوع الأدبي المهم.

١ - مسيرة الخطاب الروائي اليمني:
بالنظر في مسيرة الخطاب الروائي وتصنيفه - وهو غرض هذه الورقة - يمكننا أن نقف عند أربع مراحل أو محطات رئيسية في هذه المسيرة تنقسم إلى:

● إبراهيم أبو طالب، مدرس بكلية التربية - أرحب، جامعة صنعاء.

١-١: مرحلة الريادة:

وهي مرحلة البدايات بما تحمله من محاولات قصور من ناحية. وما تسجله من زيادة وحضور من ناحية أخرى، وتتمثل هذه الريادة في رواية «سعيد» ١٩٣٩م. لمحمد علي لقمان. وهي رواية تعالج في موضوعها الحياة البرجوازية في تلك المرحلة لطبقة التجار الذين يمثلهم والد سعيد، ويصور حياتهم ومعارفهم، وسعيد يبدو في الرواية كبطل قومي منفتح على قضايا مجتمعه الخاصة وقضايا العالم الإسلامي بوجه عام، وتقوم الرواية في بنائها على التأثير بالموروث القصصى الشعبى أكثر من تأثرها بفن الرواية الغربية، وبدا ذلك واضحاً في بنائها العام القائم على الحكاية الإطارية، وما تحتويه من حكايات متضمنة ، وكذا ما سرده من قصص شعبية مرتبط بالأولياء وحكاياتهم الخارقة (٢). ومما يؤخذ على هذه الرواية الرائدة أنها تطرح الكثير من الشعارات بخطابية صارخة في لفتها وبنائها الفني شأن أى بداية لم يستقر بناؤها وتجربتها على وجه الدقة والوضوح.

ثم تأتي رواية «يوميات مبرشت» (٣) ١٩٤٨م لعبد الله محمد الطيب أرسلان، وقد طبعت في عدن في مطبعة صحيفة «فتاة الجزيرة» - صحيفة أسبوعية يمنية مطبوعة كانت تمثل الحاضنة الرؤوم للفن القصصى في اليمن في تلك الفترة صدرت عام ١٩٤٠م - ورواية «يوميات مبرشت» لوحة صادقة للحياة التي عاشتها عدن في فترة الأربعينيات، وهي فترة الحرب العالمية الثانية، وما سبقتها من حال متدهورة للاقتصاد العالمى ولعدن تحت السيطرة البريطانية، هذه الرواية تصور في موضوعها حياة عامل من الطبقة المتوسطة تأخذه موجة السعى في تيار أثرياء الحرب ليتحول إلى «مبرشت» والبرشته مصطلح يعنى التهريب (٤). وتعرض الرواية على شكل مذكرات يومية (تبدأ من ١ يناير وتنتهى بـ أول يوليو من السنة الثانية)، والمدة الزمنية بين أول رواية وثانى رواية تبلغ تسع سنوات، ثم ننتظر أحد عشر عاماً أخرى حتى تأتى رواية «حصان العربية» (٥) ١٩٥٩م لعلى محمد عبده، وهي مدد زمنية متفاوتة - كما تلاحظ - تقدم هذا الفن على فتور وتباعد، وتعالج من حيث المضمون قضايا إصلاحية واجتماعية عالية النبرة من حيث المباشرة والسطحية.

١-٢: مرحلة التأسيس:

تبدأ هذه المرحلة زمنياً مع بداية ١٩٦٠م، وتمتد حتى أوائل السبعينيات وهي مرحلة مهمة جداً على المستوى الوطنى لما احتوته من أحداث مر بها الشعب اليمنى أبرزها قيام الثورة المجيدة فى الشمال ١٩٦٢م، والاستقلال عن المستعمر فى الجنوب ١٩٦٧م، وتثبيت قواعد الجمهورية، وهذه المرحلة على مستوى الخطاب الروائى كان فيها محاولة التأسيس لهذا

الفن الأدبي المهم، وإن كانت ثمرة ذلك لم تؤثر بشكل واضح إلا في السبعينيات. لكن تظل محاولة محمد محمود الزبيري (أبو الأحرار، شاعر الثورة الكبير، توفي ١٩٦٥م) في روايته «مأساة واق الوق» (٦) ١٩٦٠م ذات أثر واضح في إيجاد فن روائي، وإن كان مابيزال متأثراً - إلى حد كبير - بالموروث العربي الديني، وبخاصة قصة الإسراء والمعراج، ورسالة الغفران للمعري، ومحملاً بالقضية الوطنية ورموزها ومشكلاتها، ويبرز فيها المضمون السياسي بنبرة صارخة يغلب أحياناً كثرة على الفن والبناء الروائي لكنها تظل محاولة للتأسيس. تتبعها رواية «مذكرات عامل» (٧) ١٩٦٦م لعل محمد عبده بما تحمله هذه الرواية من مضمون الطبقة العاملة وهمومها، واستغلال الأغنياء لجهود الكادحين، ويأتي المضمون الاجتماعي أكثر وضوحاً في روايتي: «القات يقتلنا» (٨) ١٩٦٩م، و«ضحية الجشم» (٩) ١٩٧٠م لرمزية الإيراني، ورواية «مصارعة الموت» (١٠) ١٩٧٠م لعبد الرحيم السبلائي، وتبدو فيه صورة المجتمع وقضايا المرأة المستتلة، والزواج غير المتكافئ، والثار وغيرها من المضامين أغلب من حيث اهتمام الكتاب، ولكنها تمثل مرحلة مهمة في طريق التأسيس لهذا الفن الروائي، والذي تبدو خطوة محمد عبد الولي وتجربته الروائية هي الأكثر قدرة وتمكناً في هذه المرحلة لما يمتلكه هذا القاص من أدوات خاصة وموهبة حقيقية جعلته يعالج موضوعاً اجتماعياً في غاية الخطورة في حياة اليمنى هو موضوع الهجرة والمولدين - الذين يكونون من أب يمني وأم حبشية تحديداً - في روايته «يموتون غرباء» (١١) ١٩٧١م، ويقدم روايته في شكل فني محكم ورصين، يمثل بالفعل الشكل والمستوى الأكثر نضجاً وتأسيساً للخطاب الروائي في هذه المرحلة.

١- ٣ مرحلة التجنيس:

وهي مرحلة السبعينيات والثمانينيات حيث استقرت فيها الرؤية الفنية - نوعاً ما - وثبتت كجنس أدبي قائم بذاته في وعي كتاب المرحلة وممارستهم، وتمكن القاص من هذا الفن الروائي من خلال تكرار التجربة، والقراءات، والمعارف العامة، والمتابعة، والانفتاح على الرواية العربية والعالمية، وظهرت أسماء أخلصت لهذا الفن وطورته حتى تمكنت من الكتابة فيه - أو كادت - نذكر من ذلك مثلاً: محمد عبد المولى، عبد الوهاب الصوراني، عبد الكريم المرتضي، حسين مسيلي، حسين سالم باصديق، محمود صغيبي، محمد حنير، عبد الله سالم باوزير، زيد مطيع دماج (وروايته الزهنية نموذج ناضج للرواية اليمنية)، محمد مثني، عبد المجيد قاضي، يحيى على الإيراني، سلوى الصرحي، سعيد عولقي وغيرهم، استمر بعضهم وتوقف البعض الآخر مما خسر بسببه المشهد الروائي اقلماً كانت قد بدأت في الطريق الصحيح فنياً.

١ - ٤: مرحلة التجديد:

وهي مرحلة التسعينيات وما بعدها حتى بدايات هذا القرن، وإن كان التجديد - في هذه المرحلة - محسوساً ومحدوداً في بعض محاولات القاصين الشباب، ولم يتحول إلى ظاهرة غالبة - حتى تكون أكثر دقة في هذا التصنيف - وذلك فيما تبرزه بعض كتابات نبيلة الزبير في روايتها «إنه جسد» (١٢) ٢٠٠٠م، ووجدى الأهل في «قوارب جبلية» (١٣)، «المومضات الأخيرة في سبأ» (١٤) ٢٠٠٢م، وحبيب عبد الرب سروري في روايته «الملكة المغدورة» (١٥) ١٩٩٩م، وهدملان» (١٦) ٢٠٠٢م، وعبد الناصر مجلى في «رجال الثلج» (١٧) ٢٠٠٠م، وهند هيثم في «ملوك لسماء الأخلام والأمانى» (١٨)، وحروب الخشب» (١٩) ٢٠٠٣م، وسامى الشاطبي في «كائنات خرية» (٢٠)، ولبالمل مواسم أخرى» (٢١) ٢٠٠٣م.

ومحاولات التجديد هذه تأتى على مستوى اللغة، والانشغالات بالشكل والمضمون في محاولة الخروج عن التراتبية الموروثة من بداية ووسط ونهاية، ومن عقدة وحل... إلخ من تلك التقنيات، وتأتى محاولاتهم في التجزيب على السرد والزوايا والتشكيل اللغوي لهذا الجنس الأدبي العميق ومع ذلك فثمة كتابات كثيرة في هذه المرحلة متعلقة بالمرحلة السابقة «مرحلة التجنيس» إن لم نقل بردها إلى مراحل تقليدية موهلة، من خلال عدم تطوير البعض لكتاباتهم وآلياتهم، وجنوح البعض الآخر إلى الكتابة الملاصقة للواقع ملاصقة بمراوية بعيدة عن الفن، أو اللجوء إلى الكتابة سير الذاتية لدى كتاب يمتد حضورهم - عيشاً وكتابة - إلى أجيال سابقة لكن قصصهم لم تخرج إلا في هذه المرحلة.

٢ - مضامين الخطاب الروائي:

اشتمل الخطاب الروائي في اتساعه كمدونة ومتن وفي امتداده الزمني على الكثير من المضامين التي عالجها بداية بالمضامين الإصلاحية ذات الأداء المباشر والتبرة الخطابية العالية كما في «سعيد» للقمان و«مصارعة الموت» للسبلاني، و«ضحية الجشع» لرمزية الإرياني - كما سبقت الإشارة.

أما المضمون السياسي فقد تزامن بعضه مع حركة التحرر الوطني من الإمامة في الشمال، كما في رواية «مأساة واق الواق» ١٩٦٠م للزبيري، أو تلك الروايات التي كتبت فيما بعد لكنها تعالج نفس المضمون السياسي كما في رواية «صنعا مدينة مفتوحة» (٢٢) ١٩٧٨م لمحمد عبد الولي، و«قرية البتول» (٢٣) ١٩٧٩م لمحمد حنيبر، و«الرهيبة» (٢٤) ١٩٨٤م لزيد مطيع دماج، و«زهرة البن» (٢٥) ١٩٩٨م لعلى محمد زيد، وكذلك ما كان منها يعالج قضية الاستقلال من الاستعمار البريطاني وسطوة السلاطين في جنوب اليمن، كما في رواية

«مرتفعات ردفان» (٢٦) ١٩٧٦م لحسين صالح مسيبلي، و«طريق الغيوم» (٢٧) ١٩٧٧م لحسين سالم باصديق وغيرها.

أما الروايات ذات المضمون الاجتماعي فلها نصيب وافر، حيث عالجت فترات مختلفة من الزمن في اليمن الحديث وقضايا أبنائه وهمومهم، وقد ظهرت هذه الروايات حين استقرت القضية الوطنية وهذا الصراع وثبتت قواعد الدولة الحديثة، وبدأ الإنسان اليمني يبني حياته على طريق الاستقرار والسلام، ومن ذلك مثلاً عدد من الروايات التي تهتم بشرائع معينة من المجتمع وتلتفت إلى قضاياهم المصيرية كرواية «مجمع الشحاذين» (٢٨) ١٩٧٦م لعبد الوهاب الضوراني، وقضية الطبقة المثقفة والبحث عن فرص العمل كرواية «سفينة نوح» (٢٩) ١٩٨١م لعبد الله باوزير، وهموم مجتمع القرية كرواية «الإبحار على متن حسناء» (٣٠) ١٩٨٤م لحسين باصديق، وقضية الهجرة وغربة اليمنى على اختلاف الزمن كروايات: «يموتون غرباء» لمحمد عبد الولي، (وتعالج الغربة في الحبشة، وقضية المولدين في فترة ما قبل الثورة)، ورواية «نحو الشمس شرقاً» (٣١) ١٩٩٨م ليحيى على الإرياني (وتعالج الغربة السياسية مع قضايا حديثة لما بعد الوحدة)، ورواية «رجال الثلج» ٢٠٠٠م لعبد الناصر مجلى (وتعالج غربة اليمنى الحديثة في أمريكا من وجهة نظر عملية، وتجربة كاتبها الفعلية).

وأما رواية «شارع الشاحنات» (٣٢) ١٩٨٥م لمحمد سعيد سيف فهمى فصور ضغوط المدينة على المثقف وجفافها في وجهه، ورواية «ركام وزهر» (٣٣) ١٩٨٨م ليحيى على الإرياني تبين صراع القيم بين المدينة والريف، كما يتجلى فيها صعود نماذج من الطبقة الوسطى وتبلورها، وفي «هموم الجد قوسم» (٣٤) ١٩٨٨م لأحمد مثنى صراع القديم والجديد وبيان الثوابت الجميلة لدى المجتمع التهامي تحديداً، وفي «الصمصام» (٣٥) ١٩٩٣م لصالح باعمر تتضح خصوصية مجتمع الصيادين وهمومهم وأفكارهم، وفي روايتي: «أحلام ... نبيلة» (٣٦) ١٩٩٧م وأركانها الفقيه» (٣٧) ١٩٩٨م لعزيزة عبد الله معالجات لمشاكل المرأة وعذاباتهما وهى تبدو كضحية للحاجة والمجتمع القاسى فى الأولى، وللجهل والتفريط بها من الرجل فى الثانية.

وللرواية ذات المضمون التاريخى حضور أيضاً فى ثلاث روايات هي: «ليلة ظهور أسعد الكامل» (٣٨) ١٩٩٢م لأحمد قائد بركات، (حوارية بين الراوى وأحد ملوك حمير القدماء بوحي من المكان حين يزور الكاتب مأرب، ويقف أمام سدها الشهير، وفيها ربط بين الماضى والحاضر)، ورواية «رؤيا شمر يرعش» (٣٩) ١٩٩٧م لأنور محمد خالد (وهى الرواية التاريخية الوحيدة حتى الآن بالمعنى الفنى والتقنى للرواية التاريخية التى تعالج تلك الفترة السحيقة من تاريخ اليمن)، ورواية «دار السلطنة» (٤٠) ١٩٩٨م لزمزية الإرياني، (وهى تقدم

تاريخ السيدة بنت أحمد الصليحي ملكة اليمن في التاريخ الوسيط وإن كانت تخاطب الناشئة). وأما رواية السيرة الذاتية فيكرس لها أحمد قائد بركات ثلاثة منازل القمر: «تباشير الأمانى» (٤١) ١٩٩٨م، و«سنوات البراءة» (٤٢) ٢٠٠١م، و«المدار الغربي» (٤٣) ٢٠٠١م، ومن قبلها روايته «المبشع» (٤٤) ١٩٩٣م. وتأتي الروايات ذات المضمون العاطفي عرضاً في اهتمام الروائي اليمني، وقد نلج الكثير من تلك المضمون العاطفي يدور بالضرورة في بناء عدد من الروايات لكن نادراً ما نجد رواية تحمل ذلك المضمون عن قصد أو تكرر من أجله بحيث يقوم بناؤها وفكرتها وغايتها وفقاً على المضمون العاطفي، ولعل ذلك يرجع إلى تصور لدى الكاتب - وذلك بلا شك تصور خاطئ - مفاده أن الحب هو آخر ما يمكن أن يقف لديه الإنسان في سلم الضرورات.

٣- التسعينيات وما بعدها مرحلة خصبة للرواية:

بعد قيام الوحدة اليمنية توافر للأدب مناخ إبداعي له خصوصية متميزة من حيث الحرية، والانتشار، وإمكانية النشر بشكل أوسع، وتنمى المؤسسات الثقافية المهتمة بالحراك الثقافي والإبداعي، هذا بالإضافة إلى المناخ السياسي والاجتماعي الحافل بالأحداث والمتغيرات المختلفة والذي تحتاج إليه الرواية - عادة - لرصد أبعادها ورؤاها، فهي من حيث طبيعتها فن يرصد أزمنة المجتمع وتغيراته، ويصور حركة الفرد وعالمه الداخلي والخارجي في إطار ذلك المجتمع المتحرك، وينظره ببيولوجرافية (٤٥) سريعة للإنتاج الروائي خلال هذه الفترة يتأكد للناظر ما نذهب إليه بأن الرواية تعيش في التسعينيات وما تلاها حتى اليوم اخصب عصورها من حيث الكم والكيف معاً، وتختلف مع ما يذهب إليه بعض الدارسين (٤٦) بأن الرواية في هذه الفترة نائمة بالقياس إلى جنس أدبي آخر - له خصوصيته نشرأ وإبداعاً من حيث السهولة والقدرة على النشر السريع والتعبير عن روح الفرد أكثر من روح المجتمع - ونعني به القصة القصيرة.

هوامش

- ١ - سعيد، محمد علي إبراهيم لقمان، ط١، ١٩٣٩م، عدن - المطبعة العربية، وطبعت مرة أخرى ضمن مجلة الثقافة الجديدة، عدن، العدد الرابع - يوليو ١٩٩٢م.
- ٢ - للمزيد حول هذه النقطة يمكن الرجوع إلى كتاب إبراهيم أبو طالب: «الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية: دراسة في التفاعل النصي» صنعاء إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٣ - يوميات مبرشت، عبد الله محمد الطيب أرسلان، ط١، ١٩٤٨م، عدن - مطبعة فتاة

الجزيرة.

٤ - أطلقت هذه الكلمة (البرشات) لتعني التهريب وسبب ذلك كما يذكر كاتب الرواية في مقدمتها: «أن أحد رجال البوليس من سلاح الطيران، كان في دار الأمير يقتش على بعض الأدوات المسروقة فزاعه ما رأى من كثرة البضائع المكسدة هناك، فقال لمن رافقه وهو يظهر الاندهاش: لابد أن هذه البضائع قد انزلت بالبرشوت وإلا كيف أتت والبوليس المدني مرابط في كل المراكز. فانتشر ما قال بين الناس ووافقت كلمة «البرشوت» هوى قى نفوسهم فأطلقوها على معنى التهريب منذ ذلك اليوم» ينظر: رواية «يوميات مبرشت، ص ٩.

٥ - حصان العربية: على محمد عبده، ١٩٥٩م، عدن صحيفة الكفاح.

٦ - مأساة واق الوق: محمد محمود الزبيري، ط١، ١٩٦٠، القاهرة وطبعة أخرى عن دار العودة - بيروت ١٩٨٧، وعن دار الكلمة - صنعاء (١٩٨٥).

٧ - مذكرات عامل: على محمد عبده، ١٩٦٦ عدن، صحيفة الطريق.

٨ - القات يقتلنا: رمزية عباس الإيراني، ١٩٦٩م، تعز، د.م.

٩ - ضحية الجشع: رمزية عباس الإيراني، ١٩٧٠، تعز - دار القلم للطباعة والنشر.

١٠ - مصارعة الموت عبد الرحيم السبلاني، ١٩٧٠ تعز - الدار الحديث للطباعة والنشر.

١١ - يموتون غرباء: محمد أحمد عبد الولي، ١٩٧١ عدن - صحيفة الشراة، وطبعت عن اتحاد الكتاب اليمنى ضمن مجلة (الحكمة) وعن دار العودة عدة طبعات آخرها عام ١٩٨٦م.

١٢ - إنه جسدي، نبيلة الزبيير، ٢٠٠٠ القاهرة - الهيئة العامة لقصور الثقافة - سلسلة أفاق الكتابة (٣٩).

١٣ - قوارب جبلية، وجدى الأهل، صنعاء، مركز عبادى ط١ يناير ٢٠٠٢م، وبيروت - لندن دار رياض الرئيس ط٢. حزيران/ يونيو ٢٠٠٢م.

١٤ - الومضات الأخيرة فى سبأ، وجدى الأهل، ٢٠٠٢ تعز صحيفة الثقافية.

١٥ - الملكة المغدورة، حبيب عبد الرب سروري، ١٩٩٩ صنعاء مؤسسة المهاجر كتاب المهاجر رقم (٢) طبعت فى مركز عبادى للدراسات والنشر، ونشرت مسلسلة فى صحيفة الثقافية عام ١٩٩٩ ترجمها عن الفرنسية د. على محمد زيد.

١٦ - دملان، حبيب عبد الرب سروري ٢٠٠٢ صنعاء - مؤسسة العفيف الثقافية

١٧ - رجال الثلج، عبد الناصر مجلي، ٢٠٠٠ تعز - صحيفة الثقافية.

١٨ - ملوك لسماء الأحلام والأمانى، هند محمد هيثم ٢٠٠٢، صنعاء - مركز عبادى واتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

١٩ - حرب الخشب، هند محمد هيثم ٢٠٠٢ صنعاء - مركز عبادى، واتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

- ٢٠ - كائنات خربة، سامى صالح الشاطبي ٢٠٠٢ صنعاء - مركز عبادي
- ٢١ - للامل مواسم أخري، سامى صالح الشاطبي ٢٠٠٢ صنعاء - مركز عبادي.
- ٢٢ - صنعاء مدينة مفتوحة، محمد أحمد عبد الولي، ١٩٧٨، عدن - مؤسسة ١٤ أكتوبر، وعن دار العودة - بيروت عدة طبعات آخرها في ١٩٨٦م.
- ٢٣ - قرية البتول، محمد حنيبر، ١٩٧٩م، دمشق - عالم الكتب.
- ٢٤ - الرهينة، زيد مطيع دماج، ١٩٨٤، بيروت - دار الآداب. وعن دار رياض الرئيس - لندن عام ١٩٩٧ م وضمن مشروع اليونسكو (كتاب في جريدة) عام ١٩٩٨، والهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة عام ١٩٩٩م.
- ٢٥ - زهرة البن، على محمد زيد ١٩٩٨ بيروت - دار الكنز الأدبية.
- ٢٦ - مرتفعات ريفان، حسين صالح مسيطلي، ١٩٧٦، عدن - مؤسسة ١٤ أكتوبر.
- ٢٧ - طريق الغيوم، حسين سالم باصديق، ١٩٧٧ بيروت - دار الفارابي - إصدارات وزارة الثقافة عدن.
- ٢٨ - مجمع الشحاذين، عبد الوهاب الضوراني، ١٩٧٦، صنعاء - صحيفة الثورة من تاريخ ١/٢٦ عدد ٢٤٨٩ إلى ٢/١٣، عدد ٢٥٠٧ ونشرت في كتاب عام ١٩٧٩ عن مطابع الناشر العربي - القاهرة.
- ٢٩ - سفينة نوح عبد الله سالم باوزير ١٩٨١، عدن - دار الهمداني، وطبع في صنعاء مركز عبادي للدراسات والنشر عام ٢٠٠١م ضمن سلسلة إبداعات يمانية.
- ٣٠ - الإبحار على متن حسناء، حسن سالم باصديق ١٩٨٤ بيروت - دار الفارابي - إصدارات وزارة الثقافة عدن.
- ٣١ - نحو الشمس شرقا، يحيى على الإرياني ١٩٩٨، عمان - دار أزمته للنشر والتوزيع.
- ٣٢ - شارع الشاحنات، محمد سعيد سيف، ١٩٨٥، صنعاء - مجلة اليمن الجديد، ومنشورات اتحاد الكتاب اليمنيين (كتاب الحكمة طبع بمطابع مؤسسة الثورة للصحافة والنشر عام ١٩٩٨م.
- ٣٣ - ركام وزهر، يحيى على الإرياني، ١٩٨٨، بيروت - دار التنوير.
- ٣٤ - هموم الجد قوسم، أحمد مثنى، ١٩٨٨، بيروت - دار الحداثة.
- ٣٥ - - الصمصام، صالح باعامر، ١٩٩٣ القاهرة، مطابع الكوبري.
- ٣٦ - أحلام .. نبيلة، عزيزة عبد الله ١٩٩٧، القاهرة - مكتبة الخانجي.
- ٣٧ - أركانها الفقيه، عزيزة عبد الله ١٩٩٧ القاهرة - مكتبة الخانجي.
- ٣٨ - ليلة ظهور أسعد الكامل، أحمد قائد بركات ١٩٩٢ صنعاء دائرة الصحافة والطباعة.
- ٣٩ - رؤيا شمر يرعش، أنور محمد خالد ١٩٩٧ بيروت - دار الفكر العربي.



- ٤٠- دار السلطنة، رمزية عباس الإيراني ١٩٩٨ صنعاء - حقوق النشر محفوظة للمؤلفة، دون تحديد دار النشر.
- ٤١ - منازل القمر: المنزل الأولى (تباشير الأمانى) أحمد قائد بركات ١٩٩٨ صنعاء - منشورات صحيفة الثورة.
- ٤٢ - منازل القمر: المنزل الثانية (سنوات البراءة)، أحمد قائد بركات، ٢٠٠١ صنعاء مركز عبادى للدراسات والنشر.
- ٤٣ - منازل القمر : المنزل الثالثة (المدار الغربى) أحمد قائد بركات ٢٠٠١ صنعاء - مركز عبادى للدراسات والنشر.
- ٤٤ - المبتسم، أحمد قائد بركات ١٩٩٣ صنعاء - دائرة الصحافة والطباعة.
- ٤٥- يمكن الرجوع إلى البيولوجرافيا التفصيلية عن الرواية اليمنية من عام ١٩٣٩ م حتى عام ٢٠٠٢ م فى كتاب الموروثات الشعبية القصصية فى الرواية اليمنية، مرجع سبق ذكره..
- ٤٦- ينظر : مقال هشام سعيد شمسان: القصة فى اليمن من السرديات التقليدية إلى الحداثة الفنية. المصدر: <http://www.aimotamar.net/5299.html>

عبد العزيز المقالح في القاهرة

د. راتب سكر - سوريا

في عام ١٩٦٣ سافر الشاعر عبد العزيز المقالح من ربوع اليمن في رحلة مشغولة بهموم الأدب والثقافة، كان في السادسة والعشرين من عمره، يفيض حماسه للشعر والنهوض الوطني المسكون بهواجسه العربية هوية وحلماً، وكانت تلك المرة الأولى التي يغادر فيها أسوار اليمن المسيج منذ عهد طويلة بالأسى والبؤس والعزلة والحرمان. سافر إلى القاهرة التي كانت - وما تزال طبعاً - عاصمة للأحلام العربية في توقها إلى الوحدة والتحرر والعدالة الاجتماعية. تعد هذه الزيارة معلماً بارزاً من معالم العلاقات الثقافية التي ظلت تؤثر في مكوناته المعرفية والوجدانية.

في هذه الزيارة التي التقى بعدد غير قليل من المثقفين والشبان العرب الذين ضمتهم القاهرة في تلك الأيام، منهم الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب الذي كان يتبع دورة تدريبية في إذاعة القاهرة، والشاعر المصري صلاح عبد الصبور، وقد رافقهما الشاعر المقالح مع مجموعة من الأقران إلى «كازينو قصر النيل» لمقابلة المثقف المعروف عبد الكريم زهور عدى (ت ١٩٨٦ م) الذي وصل ضمن الوفد السوري لمباحثات الوحدة الثلاثية المنشودة بين مصر وسوريا والعراق. وراح اللقاء به يتكرر لعدة أيام فيتناول الحديث الدولة اليمنية الفتية بعد مرور سنة على ثورة ٢٦ سبتمبر.

في خلال سنوات إقامتي الجميلة في صنعاء (١٩٩٧ - ٢٠٠١)، كان الشاعر المقالح يشعر

بمعاني الفرح المشتعل في عيني الصغيرتين، عندما أصغى إلى ذكرياته تلك، فيكرمنى بمزيد يغمرنى ابتهاجاً، ويقول عن عبد الكريم زهور عدى(١): «كان يتحدث كأنه يمني خالص، ويفصل الكلام على دور الفن والأدب في حماية الثورة. عبد الكريم ذو لغة جميلة عذبة، يتحدث كأنه ينطق شعراً، ووجهه يشع بالنبل، تشعر وأنت تلتقيه أول مرة، أنك تعرفه من عشرين سنة(٢)».

كان الشاعر اليمني المقيم في القاهرة منذ مطلع الأربعينيات، على أحمد باكثير من أبرز الأدباء الذين التقى بهم الشاعر المقالح في زيارته الأولى إلى مصر وقد كتب فيما بعد انطباعه عن لقائه باكثير، فقال: «رأيت باكثير لأول مرة في عام ١٩٦٣م، عندما قمت بأول زيارة للمجلس الأعلى للفنون والآداب في القاهرة، وكان المجلس في وديانة أنهياريه. وكان مسرح التلفزيون يومئذ يعرض لباكثير مسرحية (جلفدان هانم)، كان باكثير مشغولاً بالحديث عنها فلم يعجبني لقاءه الأول، وترك في نفسي انطباعاً مشوشاً(٣)».

هكذا عاد المقالح إلى صنعاء بعد زيارته الأولى إلى القاهرة، وهو القادر على تحويل مثل هذه الزيارة القصيرة إلى مدرسة من المدارس التي أثرت في تكوينه شاعراً وناقداً ومتقفاً بارزاً تأثيراً عميقاً.

بعد مرور سنتين على زيارته القاهرة، شارك الشاعر عبد العزيز المقالح في رحلة طويلة ضمت وفدًا يمينياً رفيعاً، وجالت في سبتمبر من عام ١٩٦٥ بين ربوع متعددة، وذلك عندما قام الوفد الذي يضم حسن العمري نائب رئيس الجمهورية والقاضي عبد الرحمن الإيراني الذي أصبح رئيساً للبلاد فيما بعد بزيارة دمشق، ومنها اتجهت الرحلة التي استمرت زهاء شهر ونصف لأسباب يمنية داخلية، إلى لبنان والعراق والكويت وبلجراد وبرلين.

في بلجراد كان اللقاء الأول بالسفير السوري والشخصية الثقافية البارزة د. سامي الدروبي. «أربعة أيام أمضيتها معه»، يقولها الشاعر المقالح بصوت يتهدج مودة، عندما يحدث أصدقاءه عن سامي الذي سيصبح من أبرز المثقفين الذين عايشهم في خلال إقامته اللاحقة في القاهرة، وفي التقديم لمثل هذا الكلام، يقول: «كان القاضي الإيراني من المعجبين به، وكنت قد قرأت كتاب فرانز فانون (معدب الأرض) الذي ترجمه سامي مع د. جمال الآتاسي من الفرنسية، فعزز ذلك من توقي إلى لقائه».

في العام التالي، أي عام ١٩٦٦، سافر الشاعر المقالح في بعثة تعليمية قصيرة إلى فرنسا فكان ذلك قرصة لمزيد من الانكشاف على ثقافة الآخر، ومحاورتها في مسيرة إعداد الذات على مدارج الأيام، وسرعان ما عين في نهاية العام نفسه مندوباً لليمن في جامعة الدول العربية في القاهرة، فوصلها المثقف الشاب وهو في التاسعة والعشرين من عمره حاملاً على منكبيه أحلامه الواسعة وذكريات تكوينه المعرفي والوجداني، الثرية بترجيع أحزان

كاوية، وعلاقات واسعة مع أسماء يفتح ذكر حروفها مساحات واسعة من الخصرة والرجاء والطمانية.

فى القاهرة تجد لقاء المقاتل بالأصدقاء الذين التقاهم فى زيارته السابقة لها، كما تجد لقاءه بالدكتور سامى الدروى الذى التقاه من قبل فى بلجراد، وقد أصبح سفيراً لسوريا فى مصر.

كان يوم الثلاثاء موعداً أسبوعياً للالتقى عدد من الأصدقاء الأدباء الذين أحاطوه بجو حميم من الألفة. فضلا عن الدكتور سامى الدروى، كان صديقه الأخضر الإبراهيمى سفير الجزائر فى تلك الأيام. والشاعر عبد الوهاب البياتى اللاجئ من العراق وكوكبة من أدباء مصر ومثقفىها مثل: أحمد عبد المعطى حجازى وأحمد بهاء الدين وصالح عبد الصبور وغيرهم، وكثيراً ما كان الدروى يقل المقاتل بسيارته من حى «نادى الصيد» الذى يسكن فيه إلى دارته فى حى «الدقي» وهذه العلاقة الحميمة والمتميزة بين الدروى والمقاتل لم تتغير مع تبدلات الأيام التى انتقلت بالمقاتل من مندوب لليمن فى جامعة الدول العربية إلى طالب جامعى يتابع دراسة الأدب العربى منذ عام ١٩٦٨، فقرأته المتكررة لما ترجمه الدروى إلى العربية من مؤلفات فرانز فانون ودوستوفسكى وبرجسون وغيرهم، تركت فى نفسه أثراً عميقاً، وسيجت عواطف الصداقة النبيلة بسياج من الإعجاب الذى مازال يرافق حديثه عن سامى الدروى حتى أيامنا بمثل قوله: «هو مدرسة فى الوطنية، يمتلك لغة عربية ناصعة، فضلا عن معرفته اللغات الأجنبية معرفة مكنته من الترجمة الراقية، التى شهد له بها الكثيرون».

تجد لقاء المقاتل بعلى أحمد باكثير أيضاً، فالتقاء فى مناسبات مختلفة فى عام ١٩٦٧، وقد كتب عن ذلك خواطر وذكريات (٤)، ذكر فيها أن باكثير دعاه إلى منزله ليحدثه عن همومه وذكرياته (اليمنية والمصرية)، فلبى الدعوة التى جمعت به بعد من الأدباء والشعراء الأعلام الذين ذكرهم فى خواطره المكتوبة بقوله: «هذا اليوم جمعنى بأدباء كبار فيهم باكثير والسحار وعبد الحليم عبد الله، والشاعر أحمد مخير، وغيرهم .. كان السحار أكثرهم إشراقاً وبعداً عن الشكوى، أما الآخرون فقد تحول حديثهم .. إلى شكوى حادة من النشر، ومن ظلم أجهزة التوصيل: الإعلام، التلفزيون، الإذاعة، المسرح، الصحافة، وكنت أعتقد - خطأ - أن المضطهد الوحيد بينهم هو على أحمد باكثير لأنه ليس من مصر، وإن بى اكتشف أن مصر قد أعطت باكثير الكثير.. لقد منحه الرئيس جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية، وكانت بعض كتبه مقررّة على طلبة الثانوية».

كان عبد العزيز المقاتل فى القاهرة حريصاً على لقاء الأدباء، معجباً بأعلامهم وعطائهم، ومن أبرز أولئك يذكر د. طه حسين الذى كتب عنه بلغة تفيض شاعرية وجناناً إذ زار مكتبه

فى عام ١٩٧٤ بعد وفاته بعلم واحد، فاستعاد صورته وكتب يقول: «المكتب الذى كان يستقبل فيه العميد معظم زواره، وقد رأيت فيه لأول مرة بجوار اللقطة التى لم يكن بها آية نار». وشعرت يومها برهبة، لم أشعر بمثلها فى المقابلات التى أتيت لى منذ سنوات، مع بعض الرؤساء العرب والأجانب.. كان شخصاً مهيباً، مقدياً، حنوناً، غير مغرور.. وكان يمسك بسيجارة فى يده اليسرى، وكأنه حريص على ألا تسقط ثم هو يضط علىها بقفه، وكأنه يعضها يشغتيه. كما يضط على الكلمات بطريقته المحيية المعروفة» (٥).

دأب المقال فى القاهرة على متابعة دراساته الجامعية وهو فى خضم انتشاقه بالأدب والثقافة وأهلهم، فتخرج فى جامعة القاهرة علم ١٩٧١، ثم نال درجة الماجستير بامتياز عام ١٩٧٤، وفى عام ١٩٧٧ توج عبد العزيز المقال بإقامته فى القاهرة بدفاعه عن أطروحة الدكتوراه فى جامعتها، وبعد ثلاثة أشهر تبعته السلطات خارج مصر مع مجموعة من المثقفين العرب الذين أبدوا نشاطاً بارزاً ضد مشروع كامب ديفيد، فراح يرتب أوراقه للسفر إلى الجزائر مدرساً فى جامعتها.

عاد إلى صنعاء ليصبح فى الثمانينيات والتسعينيات أحد أبرز الوجوه الثقافية المؤثرة فى مسيرة الثقافة والأدب فى اليمن، ومكث لا يغادر فى سفر ولا يلقى الدعوات الكثيرة التى تصله لحضور مؤتمرات وندوات أدبية تقام فى البلاد العربية وفى أصقاع المعمورة، غير أن عكوفه عن السفر لم يبعد عنه فرصة اللقاء بالمثقفين والأدباء العرب والأجانب، فما شهدته اليمن فى العقدين الماضيين من نهوض ثقافى، وفر له ولغيره من أقرانه وتلامذته فرصة اللقاء بالعديد من أعلام الأدب والثقافة الذين ربطه بهم شرف الكلمة ونبل الأحلام ومنهم د. عبد الملك مرتاض من الجزائر، والشعراء سليمان العيسى وكمال أبو ديب وإبراهيم الجرادى وأدونيس من سوريا، والشاعر جودت فخر الدين والناقدة يعنى العيد من لبنان، ود. عز الدين إسماعيل ود. جابر عصفور ود. عبد المنعم تليمة من القاهرة ود. شكر خصباك ود. عبد الرضا على ود. حاتم الصكر من العراق وغيرهم. وهو اليوم رئيس لمركز البحوث والدراسات فى صنعاء يفتح أبواب مكتبه نهائياً أو باب منزله مساءً للأدباء والمثقفين والسوريين والعراقيين والمصريين والجزائريين وغيرهم، ويعرف كل من يزور صنعاء من أهل الفكر والثقافة أن مجالسه مدرسة عربية من طراز فريد يفخر كثيرون - كنت واحداً منهم - بأنهم تخرجوا فيها.

هوامش:

١ - ثمة أسباب شخصية لاهتمامى بالموضوع، فقد تتلمذت طويلاً للمثقف الراحل سهيل عثمان الذى تتلمذ بدوره لعبد الكريم زهور عدى قبل أن يزامله فى حقول التربية والمجتمع.



- وقد زرع في نفسي إعجاباً خاصاً به، فضلاً عن ارتباط اسمه بمدينة حماة.
- ٢ - المعلومات الواردة عن حياة الشاعر المقلح وأرائه، مستقاة من اللقاء الشخصي الحميم به طوال سنوات إقامتي في صنعاء (١٩٩٧ - ٢٠٠١).
- ٣ - المقلح د. عبد العزيز، بلاتا - علي أحمد باكثير، رائد التحديث في الشعر العربي المعاصر، دار الكلمة صنعاء (٢٠١٠ ص) ٢٣.
- ٤ - المرجع نفسه.
- ٥ - المقلح د. عبد العزيز، بلاتا - يوميات يمانية في الأدب والفن. دار العودة. بيروت.

البرزخ.. قبل خلط الماء

حسن اللوزي •

ماذا أعددت لهذا التاريخ الملعون؟	ماذا أعددت لكي تتحدى التاريخ
أنت فريسة هذا الفك المفتوح بسعة	المشحون بأنفاس الطاعون
الأرض العربية..	وتواجه هجمته من كل الأرجاء
والمتشعب كالشبهات!	كي تنجو مما لم ينج منه الإخوة
وعلى كل الأفاق المرئية.. واللا	والأعداء!!
مرئية!	لحمك أم طعمك
كن أنت	أرضك أم عرضك
ولا تجعل خطواتك تنزلق إلى	دمعك أم قيمك
ميقات لا يأتي	وزنك أم حزنك
أو في وضبات خارج وقت الناس	ووجودك أم جودك
وهموم الأيتام الشهداء	وثباتك أم كبوتك
	حياتك أم موتك

وخارج ظمأ الحاجة لعبور الجسر
الممدود إلى الأضلاع السبئية
نحو الإرهاصات الكونية
فى حمأ للصبوات
لتكن أنت الواضح فى مجرى المبهم
ولأنك تعلم أسرار المعراج
فى الطلب القادم فى مرأى عرس الوطن
الداهم

حاك وميض صفاء الإيمان..

حاك الإيمان

فالإيمان يمان

واركض فى أجام الحكمة

فالحكمة منك

والحكمة أنت

لا تسلم أمرك للغيب

لتكن أنت المسك قلم الإملاء

اجعل من غيم الغيب فريستكا

أحبها لتكون مطراً

واحترث أجام الحكمة

كى تلد الحكمة بيضتها الأبدية!!

وكما أعطيت الشعب مفاتيح الدرب

أعط محبيك حظوظ الإثمار على شجر

الحب

فى وطن الخصب

واحذر من كل سراب يتلألأ أو يتناوم

فسراب الأيام اللزجة لا يرحم
كل دخان يومى لحريق
فكن النجدة
كن الماء المأمول
واحذر من كل شهيق مكسور بين
الخلق وبين شفاه المكومين!
وارأف بالنبض المحموم بوله
الجندي المجهول
واعلم ما لا تدركه غيمات لا تمطر

ابصر فيما تحرثه غيمات تمطر
زرعك أجن لأمانيك على بسطة
أرضك
لا تتعجل

وانظر ما يتلى من هذا الحلم عليك

عارية حماة هذا الموسم

يفرقها المطر فتطفو كالفلين

ويحاصرهما الرمل فتألفها

«الحنشان»

وتحضنها الأتربة فتدخل بيت إياب

الدود

والحمأ المكتظ على جافة رغبات

تتلوي

بعض من أسرار البلوي

هذا ما يعلنه الماء ويوح الأسماء
وندى إيلاف يتفتق فى وعد منتظر
فى عرس الحرية
ليس أمامك إلا أن تتحدى لتفوز
بقرىبان الديمةومة

اركض فى أجام الحكمة
سوف ترى أنك مشتعلًا بنجاحك
تجتاز البرزخ

ووحيداً تمضى لبراح القمة
هذا القارب هل ينجيك؟
هذا القارب هل يعطيك المتناظر فى
بعض الجوانى المتاصل فيك
فى معركة قد تفضى للكثرة؟
كن لفضائك تفضح سوته
كن لمشينة أحبابك

ليكون لأمرك ما أنت تشاء
كن لمشينة ما فيك لترقى فى وهج
تجليك
ولتكشف أسرار نبوغك مرات
أخرى فى أتيك
لك فى كل بروج الأسماء الذهبية
يتهاً أتيك

ما خفى من الإحياء هو الأبهى!
طاقية الإخفاء يموها رمل
الصحراء!

حلزونيا يصعد سيخ الموسم
يتكوم فى الأفق الرحب المطلق
كى يأخذ شكل النفق المسدود
ويغلق أبواب الصحراء

والصحراء مفاتيح اللغز وفى الصحراء
الكنز

قالوا: اقذف للحقل المحتمل هناك
بسؤالك

وانظر ما سوف ترى
أنفسه كما يتجلى فى مرآة الحلم
ولسوف ترى
الحلم المتفتح والمتراوى فى أرض
الخصب

لحقول دلقت فى كل مسا
والتأمر فى مجرى محتمل لحشود الحب
مازال يهيب نفرتة فى عمق الدرب
ليوائم بين المتناحر والمتلاقي
والتجلى فى المكنون الواحد

نجم لبهاء الأحلام المحبوسة فى إفصاح
المسند

فى البوح السبى المشتعل على كل
الأرجاء
من هيجان الألف إلى استلقاء الياء

قطع قديم في معركة بأدوار

هدى العطاس

١ - المعركة

حدث هذا في عام الوباء..

جهزوها للمعركة ووشحتها أمها بالنصائح، وعندما أغلق عليهما الباب شعرت كأن قد أغلقت عنهما سدة الكون - المعركة - تذكرت ما روشته لها أمها: هو من سينبأ ويقود تفاصيلها ويضع الخطط للطرفين، واستغريت -! أليست طرفاً مستقلاً بل هي الخصم الحبيب. هكذا صوّرت معركتهما، ولكن الأم واصلت نصائحها: لا تبدي مقاومة، دعيه ينتصر، هو من له الانتصار .. وعندما سد الكون عنهما، اقترب منها، خفض نظرتة إلى السهب الراقد. بدأ يحرق بيديه ينبش يقلب يلكز خيول رغبتها .. لا شيء .. اكتشفت أن سهبها ميت لا حياة في أرضها. لم ترتعش البراعم لم يتصاعد في تربتها تلك الدخان المجنون الذي تحدثوا عنه. إذن كان الموت يرقد أسفلها ولكنها لم تكتشف الموات لأنها لم تحاول تجربة الحياة فيه قبلاً.

أما هو.. لم ينتبه لموات سهبها أو لم يعنه ذلك كثيراً راح يجهز حريته ويلكز ثور

رغبته الذى سيقود به معركة حرثه أرضها . ارتفعت!! هل سيشحذ حريته ليغرسها فى ميتة؟ وتسألت لنفسها وهل هذه معركة متكافئة صدى وشوشات أمها يعلو، وحرية الخصم تقترب، وخفضت نظرها إلى آلة حرثه.. وفوجئت. تصلبت عروق عينيها شهقتها انطلقت، المنجل مكسور.. الحرية رخوة. لقد كان ثوره ميتاً أيضاً. ونزعت جسدها قافزة صارخة ابتعد.. فليذفن كل منا ميتة على حدة.

٢ - أدوار

يسبغ الليل لونه سريعاً فى هذه الأرجاء، والشوارع شبه خالية سوى من هسيس بعض المارة، وهدير السيارات رأى جذعها يتهدى كشراع ظل يتابعها ويده على مقود سيارته خيل إليه أن شعرها يعانق الريح ويشاكس الهواء. قال لنفسه: من زمن لم نعد نرى شعراً جميلاً لامرأة ينتضى الجراة مع الريح هكذا، بعد أن احتجز الشعر فى غرف المناديل الغليظة - وحين حاذته أطلق من سيارته نداء عاطفياً وأشار بيده يدعوها، التفتت ناحيته باسمه ثم دلفت إلى الداخل، بشت بها عيناه اللتان لونتا بالافتراس ثم سألها عن وجهتها - فردت عليه: أين وجهتك؟ أو ما بيده إلى الأمام، فابتسمت من زاوية شفيتها قائلة: إذن أنت معي.. وضحكا معا.. لهذا الرد!!

ومعا فى غرفته ارتجل ناقة برية تحملت صحارى رغبته المكبوتة.. وبعد فترة ظن أنه قد أبرك الناقة الجموح، فترجل عنها وغرق فى سباته.. فى الصباح أيقظته حرارة الشمس المنبعثة من فجوة فى النافذة المغلقة وحرارة الفراش المتبقية من ليلة البارحة، تثاب فاردأ نراعيه كفارس عاد من غزوته منتصراً يجر وراءه السبايا.. التفت جهتها فى السرير، ولكنها لم تكن هناك.. واندھش حين رأى طرفاً مطروحاً إلى جواره.. تناوله وارتعش عندما برز من داخله مبلغ نقدى.

٣- قطع قديم

الليل ساكن وعائشة تهادن الفراش..

يطلبها بينما هي حينذاك تقبع فى فنائها الخاص، ينهمر إلحاحه، تراوغ قليلاً.. وحين لا مفر.. تفتح فسحة فى الجسد .. يقتعد بساطها، يخال أنها أخذته بعيداً بعيداً، حين يعود يسألها عن الرحلة: لا تحير جواباً، يبرطم تسمعه يلعن وينهر شيئاً ما،...
يأتيها بأعواد الكزيرة يقول: فلتنزوى للرحلات القادمة.

أمام المرأة تعتلك العيدان كل يوم، تراقب عينيها الذابلتين ، فى المرأة وذاكرتها المنعكسة فى عينيها.. حكى لها صغيرة كانت لحمه حمراء، أم صابر تقترب منها. تباعد بين فخذيها النحيلين المعطوفين على سر الأسرار - كما قيل لها - وترياق الجنة والنار، تسبق الصرخة النصل (بيقبق) الدم وترمى تلك الشريحة الصغيرة جداً من لحم الجسد.

المرأة تعكس ذبول عينيها، وأعواد الكزيرة تؤكد ذبول وردتها، وتتحرش سرها للروح. هو يقرب والفراش يتلظى وعائشة تخطط نشوتها العvisية، تلكز بساطها عله يطير، تهسّس: ما أصعب الليل.. وحين أراد الارتحال أخذته كعادتها وسألها بعد أن عاد - كعادته - هرشت ألها .. تلعثت..

استنجدت بجديتها.. نادت : يا شهرزاداد.. تلبستها الحكاءة استغفرت برهة لكذبها ومنكسرة الروح انهمرت تحكى تصف.. تسهب .. وتراقب تقاطيع وجهه المنتشية، قالت وقالت وقالت.. حينما رأت أجفانه وقد أطبقها النوم ملتاعة أخذت تتحسس بأصابعها البقعة المقتطعة فى بساط الريح.

لا شيء يومض في هذه المدينة

خالد الرويشان

رائحة غريبة تملأ المكان

المكتب بسيط وعتيق، أوراق متناثرة، أزهار صناعية فقدت الوانها، نسيج عنكبوت في إحدى الزوايا أثقلا غبار متراكم. «راديو» عجوز قابع على طاولة صغيرة لا يبدو أنه نطق منذ سنوات، على الجائط صورة تكتم أنفاس المكان، مرسومة بالرماد، تمثل كأنناً متعدد الرؤوس والذيل، في كل رأس عدة عيون، وكل عين ترى في اتجاه. بتثاقل، فتح درج مكتبه، أخرج أوراقاً وضعها أمامه، فتح درجاً آخر وأخرج ختماً وضعه بعناية، أصابعه الرشيقة تشرع بفرز الأوراق.. يرفع وجهه بحركة حذرة، أتأمل الوجه فتلمع بروق الذاكرة .. أعرف هذا الوجه! أعيد التحديق، إنه هو، لا شيء تغير فيه، فقط هزة الرأس الآلية تلك كأنها تعمل بالزنبرك. كما أن عنكبوت الزمن قد نسج تجاعيده على ملامح الوجه، الذي كان يوماً، طافحاً بطفولة الأحلام، ومنعماً بشباب المواعيد.

الأصابع الرشيقة ماتزال تعمل بدقة وحرص، ومرة أخرى، تلمع بروق الذاكرة من بين

تلك الأصابع، وتتطاير حولها نرات الطباشير الملونة.
كانت الحصة الأولى، وكان أنيقاً كعادته. بدا جاداً متجهماً، اتجه صوب السبورة،
ورسم دائرة كبيرة وأخرى صغيرة ثم ثالثة أصغر. لون الدوائر بالأحمر، والأخضر،
والأصفر.

كتب بجانب كل دائرة على التوالي: الشمس، الأرض، القمر. التفت إلى تلاميذه،
واجههم صامتاً. تحول توجهه إلى ما يشبه الحزن.

«تعرفون ما حدث البارحة»

قال وهو يتقدم خطوة إلى الأمام

— لقد كان مجرد خسوف عابر. أضاف وهو يشبك أصابعه الملونة. وابتسمت
السخرية على وجهه وهو يقول: «لم يلطمه أحد. ما حدث، هو أن ضوء الشمس حجب
عنه لبضع ساعات.. وكما ترون هنا على السبورة».

تذكر التلاميذ ليلة الفزع الفاتنة. فما تزال أصوات الرجاء بالدعاء في آذانهم وهي
تطلب الرحمة للقمر الجميل الذي أمسى فجأة قائماً كـرغيف محترق.

ليلتها، لم يبد أن القمر اهتم أو حتى سمع نحيب النساء والأطفال يشق صمت الليل
البارد. كان مشغولاً بنفسه، فائز اللطمة واضح على وجهه!

ولم يكن أحد يعرف سبباً للعقاب الذي أنزل عليه.

يبد أن «سيدنا العزى» قال إن خطيئة ما كان قد اقترفها للقمر، وإن اللطمة هي
العقاب. كان ذلك هو ما حمل المدينة على التعاطف مع القمر الذى يدارى وجهه بين
السحب خجلاً وحزناً. لكن المدينة تولاه. شاء أم أبي. تراه وتشفق عليه، وتدعوله.
ولقد سفحت من الدموع ما يكفي لأن تغرق فيها خطايا القمر والأرض معاً.

وينتصف ليل المدينة، وقمرها ما يزال فى نياجير مجتته. وبدا أن الدموع تبخرت فى
فضاء من اللامبالاة، وأن بكاء الأمهات وصراخ أطفالهن تبدد فى أفاق من اللاجدوى،
ويقترّب القمر من سحابة كالجبل الكبير، فتطويه فى غيابهها، وحين يفوص فى
جوفها، يفوص قلب المدينة فى جوف الفزع الأسود.

وتقلب المدينة وجهها فى سماء الصمت، باحثة عن قمرها المغيّب، فلا تزداد إلا

شعوراً بالحرز والفجیعة، وتترقب الأعين سحابة الظلام على القمر يخرج من بین أعطافها فلا ترى بارقة ضوء.

یح صوت المدينة، وتعبت عیناها ترقباً ولهفة لقمرها المكتمل بوجهه البهی الساحر. وتناقلت الألسن ما قالته العمة «سعود» من أنها تسمع تأوهاتة وهو یجلد خلف تلك السحابة.

وفجأة أطل القمر، كان مكتملاً. ولكنه كان ملطخاً بالرماد. وما یزال معتماً. ولم تنم المدينة، بل ظلت شاخصة بأحداقها المتعبه صوب قمرها راجیه عودة سناه، واكتمال بهانه.

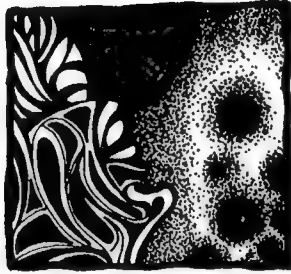
الأصابع الرشیقة ماتزال تعمل بدقة وحرص، وبروق الذاكرة ماتزال تلمع من بین تلك الأصابع، وعنقوان ضحكتة یضج وهو یجرى خلف الكرة، ویجرى خلفه التلاميذ فلا یدرکونه، ویزوغ بالكرة ویتراقص أمامهم فلا یتعب ولا یتعبون.

فی تلك الصباحات المشرقة، كانت وعود صوته النذیه تنثال فی حوش المدرسة الواسع، وهو یرتجل كلمة الصباح، ثم یجلس إلى «البیانو» الأخضر الصغیر لیعزف نشید بلاد العرب أوطانی، ولتعزف معه قلوب وأكف تلاميذه.

ما یزال الوجه منکفئاً، أتامل صورة الكائن متعدد الرؤوس والعیون والذیول فتحتلنی الوحشة، وتصفق فی صدري أجنحة الخوف. کائن مربع، متورم بالکراهیه، وعیونه تنطق بالصمم.

أنظر إلى الوجه المنکفی أمامی، فألمح قطرة عرق تتكور منحدرة من عارضه الأيمن، وأمام شحمة أذنه تقف حائرة لبرهة... ثم تواصل انحدارها لتمتصها یاقة القميص. یدأ فی إمضاء الأوراق بعد فرزها، یختمها بالخاتم الحديدی الکبیر. یضع الخاتم متبرماً، ویحاول أن یتنفس فلا یتستطیع، کأن المكان محتقن بغاز الضیق، مزدحم بالأشباح والکوابیس.

الرائحة الغریبة تملأ المكان، شعور جارف بالاختناق یسيطر على کل شیء. وفجأة یهتز الحائط یرتعش الكائن المرعب، تهتز الرؤوس وتتحفز الذیول. أحاول أن أصرخ، تتلاشى الصرخة وسط أنفاس الخوف والترقب. تنقض الرؤوس والذیول على



بعضها . تسقط رؤوس تعلو ذيول . تعلو رؤوس . تسقط ذيول . قهقهة كالعويل ترج المكان .

يتناثر الحبز الرمادي من جسم الكائن المرعب . يعود المكان في بحر من الحبر الرمادي ، تطفو رؤوس وأنياب مهشمة ، ينساح الحبر من النوافذ . تسقط شلالات الرماد فتغطي الأرصفة والطرقات . أخرج هارياً لأجد أن سماء من الرماد تطبق على المدينة . كائنات رمادية تقبل وأخرى تدبر .

الرماد عالق في النوافذ والأبواب والعيون ، العتمة تسد الجهات الأربع . لا شيء يومض في هذه المدينة . وحدها تلك الأصابع الملونة ما تزال تبرق في مغارات النفس ، وحنايا الضلوع .

كأنا نتمشى فى أصابع خائفة

على دهيس •

كأنا مرتبكون..

أم....؟

فقط نحن نحتك

بالأشياء

مجرد إثبات

لقلب

الأرض

أن ثمة من

يحاول سماعه

غير مغلقة.

وفى الثالثة.....

فى ال... قابلة للكسر.

قراءة الأنهار

ربما ليست تماماً

مثلاً

هى وجهة نظر ظمأ وارتعاش

أصابعى.

الدوائر المغلقة

بالضرورة هى عبارة عن وجهة

نظر

فهى - مثلاً - فى الوجهة الأخرى

الأشياء قد لا تكون هى الأشياء تماماً

كما هى فى الطرف الآخر

فثمة

الطير؛ والطير الآخر

الينبوع؛ والينبوع الآخر

الشجر؛ والشجر الآخر

الحب؛ والحب الآخر

الشعر؛ والشعر الآخر

الله؛ والله الآخر.

لم يأخذ قطعة

طبشور

ويكتب كلمة واحدة.

كذلك لم يضع الله

أصبعه على زر الخلق

لطبع نسخة

واحدة.

فلماذا إذن يطلقون الاسماء

على كل شيء.

قد يكون العدم مكانا جميلا

هناك

قد يخبئ زاوية مأمّن

من شراسة الحضور الزائف

وضراوة ارتباكى.

ليس لى أن أقرأ «تاريخ الجرح»

ما بمقدورى

أن أفعله

الآن

هو أن

أخبئ - بعناية - هيكل الصغير

تحت سترة صمت

مدو

أن أحاول جمع أجزائى

لأتذكر مشاهد الحرائق

لخطو الولد الملقوف فى فزاعة أيامه

الولد الواضح

حد غموض الطريق

وغبش المسافة

أن أكتحل قبل.....

بغرقى فى حسد (الراعى)

وربما أزداد حسداً

لبطل النوم ذى الكسل العظيم.

أعنى جارنا الذى يدعى

استخراج (العفارىت) من خنصر

القدم:

وفهمه لغة الطير

فيما هو يعى جيداً «لغة الناس».

هل أكون كثيرين..؟

حاولت ألا أشابه أحد

غير

أن الكتب التى قرأت تشير

إلى الآخرين.

التميمة

نبيلة الزبير

فى الفسحة التى اختارها النهار،
 ليغازل قطته،
 يحكم إغلاق الشرفة
 كامنا ينقد وجهك، ينفث إلى سجادة النسوة
 تميمة العازف على صعيد كرامة أولى
 يتوافد العشاق من كائنات الوصل،
 تنفك عن أعناقهم الأكاليل المنسية،
 يطلقون - لوجه الحب - سراح ورود أحبانهم
 يبتكرون زهرة، يبتكرهم مواؤها..
 وأخيراً.. يغرب الانتظار...
 تتفتح الشمس خمس مرات كي تندس فى فراش حبيبها فلا
 يلسعه البرد...

يحكم إغلاق فمه

● شاعرة روائية صدر لها «إثارة جسدى» رواية و«ريثما ينتهى أحدهم من العبور» ديوان شعر حصلت عن روايتها «إثارة جسدى» على جائزة نجيب محفوظ فى الرواية

يتوافد قطاع الشوق، علك بين أولئك الذين ينتظرون كابينة إضافية..
هل حضرت آخر عروض السحرة لمعجزة الراكعات من النخل والطير..
تصغي إلي..

دائماً أنت تمضى على حبل صوتي
إلى أخمص الصمت
تبقى الجداول مسدلة..

تنسى أن تربت فوق مدامع نافذتي..
لا يردك حجر الليل.. لا يجئ إلا بحجر ذاته الخالصة،
لذا ينبجس العطر،
تسبح الأمشاج: لا بورك فى عود أخضر لا يحمل قريانه
لصباح القصيدة..

بدونك أسكن جسدى كله..
اعترف بأنى أضعف أحياناً، أحلم أحياناً بالحجر الأكثر
تعطشاً لقهوة عيني..
لا أخوان .. لا يعترف حجرى إلا إنه كل يوم غيره.. وأنني
كل يوم أكثر تدفقاً فيه..
جرب أن تطفى شمعة الليلة السابقة، المرأة السابقة
لا تذهب إلى أى نجار لتصقل نخلة، ارفع رأسك إلي
سعف القبس .. ثم...

ثم..
ارجع البصر..
تؤمن بالحب الأعمى؟..
لست أدري بماذا أحبك..
جل جلال الظلام
لك معاقلك تحكم إغلاقها
ولى حجرى

ما تيسر من رعدة الخوف

إلى روح الشهيد الصليق جارا الله عمر

د. عبد العزيز المقالح •

واستيقظت من سبات المنية

- ١ -

صاحبي

لم أجيء لوداعك

ما جئت - والدمع في العين

مشتعلا -

لل بكاء عليك،

لكنني جئت يا صاحبي

لأهنيك.. إذ أنت بالموت عشت

اختزلت زمان الرماد

وحققت معجزة الخالدين.

حين حط الرصاص على القلب

واستقبلتك ملائكة الله

- ٢ -

عيناك،

قمت

وقامت قيامة أعدائك الأغبياء،

استقام اختيارك

واكتملت بالشهادة رؤياك..

أورق في دمك الحب

وانكسرت موجة

في دم الحاقدين.

• أحد رواد القصيدة الحديثة في العالم العربي، الرئيس السابق لجامعة صنعاء والمستشار الثقافي لرئيس الجمهورية اليمنية، صدر له عدد من المجموعات منها «لا بد من صنعاء» و«رسالة إلى سيف بن ذي يزن» و«الخروج من دوائر الساعة» و«أبجدية الروح» وغيرها

- ٣ -

كان أكثرنا ثقة بالبلاد

وبالناس،

أكثرنا خبرة بفصول السياسة

يدري بأن الرياح تهب

لكي تكس الورق المتساقط

في الردهات

وفوق المكاتب،

أن الخصوم رجال

وليسوا ذئابا

تحركهم شهوة القتل

والكره للآخرين

- ٤ -

انتظرناك..

كان الصباح جميلا

وكان الندى يتشكل فوق الجبال

عقودا من اللؤلؤ المرمري،

وورد المقليل يداعب خد الظهيرة،

والشمس في أوج زينتها..

فجأة يغمض الضوء أجفانه

يهبط الانطفاء قليلا

قليلا،

وتنشج حنجرة بالبيان الحزين.

- ٥ -

حين قالوا: رحلت عن الأرض

أمسكت من هلعى بالفراغ

ظننت الفراغ أخى

والدخان زميلي،

وصليت حتى أتى النوم

كيما أراك، وأسمع صوتك..

أقرأ - فى غفوتي -

ما تيسر من رعشة الخوف

أغسل دمعى برائحة الياسمين.

- ٦ -

هل رأيت جبالا تموت

سماء تغور إلى قاعها

وفضاء يضيق بألوانه

وسحاباته

وقناديله،

وحقولا تغادر وديانها

وفراشاتها؟

هل رأيت نهار اكتوى صاحبي

بالرصاص،

وفى دمه

كان حلم البلاد

- ولا عاصم اليوم -

كنا جميعاً من المفرقين؟!

- ٧ -

من ترى قتل الورد

أزهق روح الحدائق

أفتى بموت الينابيع؟

من فتح الظلمات بنار مسدسه

وأعاد ارتعاش الظنون

وعلى الأرض (قابيل)
يقتلنا،
ويطارد أرواحنا
بامتداد الزمان اللعين؟
أه يا صاحبي
لم آجئ لوداعك
أو لمديح خصالك،
لكننى جئت أبكي المحبة
والشعر..
لما رحلت تخثرت الكلمات،
تبدل ماء الحروف
وقاض دماً
وكعادته - حين يحزن -
أخفى انكساراته الشعر
وأرى عيون قصائده،
فى جفون الملائكة النائحين!

وخيط الوسائس؟
من أيقظ الإثم
واجترح الصمت والدم
فى ساحة الكلمات؟
ومن أربب الضوء والسنبلات..
أحل دم المؤمنين؟
ذات يوم
حلمت بنهر
إذا لمستهُ الأصابع
أو شربت ماءه أعين الحاقدين
استعادت براءتها
ونقاء سريرتها..
أين نحن من النهر؟
فى أى قلب
أخفى أحلامك المورقات
واكشف عن ظمئى،

ما تيسر لحلم

«تكمّن وراء البرد

الذاكرة الصلدة ورائحة الموت»

سمير عبد الفتاح

● اليدان المتفرعتان من الجسد الضئيل تنسكبان بصمت في الفراغ وتحطان على أحد قرصى خبز موضوعان على الطاولة وتقسمانه إلى جزمين غير متساويين .. وبعد أن تلف يد الجزء الأكبر من قطعة الخبز بورقة جرائد وتضعها في جيب السترة تقسم اليد الأخرى قطعة من الخبز من الجزء الصغير ثم تغمسها في كأس الشاي، وتقطع اليد المسافة بين الكأس والفم بهدوء.. وتعاود اليدان أخذ قطع صغيرة من الخبز وغمسها بالشاي.

العينان المجدقتان في الامام بدون تحديد تدخل الخبز وكأس الشاي والطاولة الحديدية القصيرة ضمن الصورة، الجزء الأكبر من الصورة - أمام العينين - احتلتها أرضية المقهى الواقع في زقاق مقفل من أحد طرفيه وتحل جانبيه مطاعم شعبية.. العينان تهتمان بالخبز والشاي بمقدار ارشاد اليدين إلى مكانيهما

وتتحدران للأسفل بحثاً عن تفاصيل غارت في الذاكرة منذ زمن بعيد.
تتجحر الصورة واليدان تعاودان تقسيم الخبز إلى قطع صغيرة وغمسها في كأس الشاي .. وتعود الصورة للحركة مع تأكد اليدان من فراغ ورقة الجرائد من الخبز ومن وضعية الجزء الأكبر من رص الخبز في الجيب.. فينهض الجسد وتتضح قامة الجسد القصيرة، يميل العنق للأسفل دافعاً العينين للاكتفاء بتحديد بضعة أمتار فقط أمام القدمين ليحرك الجسد خارجاً من المقهى.

● اليدان المتهدلتان تعبران الزقاق المقل من أحد طرفيه، القدمان تأخذان مسارهما بخطوات هادئة رتيبة كأنهما تنطبقان على مكان خطوات الأيام السابقة.. أمام المقهى تنعطف القدمان يميناً وتدخلان في كوة المقهى.. وبدون حوار يوضع أمام صاحب الجسد الضئيل - على الطاولة المقابلة لأواني صنع الشاي - كأس الشاي فتمتد اليدان المتهدلتان وتحملان الكأس الممتلئ بالشاي المزوج بالطيب، أصابع اليد اليمنى تحمل الكأس من الأعلى وراحة اليد اليسرى تسند الكأس من الأسفل .. القدمان تختاران طاولة الزاوية البعيدة الواقعة في مدى عين بائع الخبز الذي يتناول من الطبق أمامه قرصين من الخبز ويضعهما على الطاولة الحديدية أمام صاحب الجسد الضئيل ونفس اللغة الصامتة تحكمهما.. فيمد صاحب الجسد الضئيل يديه ويقسم أحد قرصي الخبز إلى جزئين غير متساويين، يضع الجزء الأكبر في جيبه بعد أن يلف قطعة الخبز بورقة، والقرص الثاني والجزء الصغير من القرص تقطعهما اليدان وتفسمان القطع في كأس الشاي.. والصور التي تتأملها العينان محصورة في الطاولة الصغيرة، وأرضية المقهى، وتفاصيل الذاكرة القديمة.

● الشمس تتخلص من قيظ الظهيرة.. بائع الخبز يرتب أقراص الخبز على طاولة كبيرة أمام المقهى في الزقاق المغلق من أحد طرفيه .. عامل المقهى يحمل الأكواب الفارغة إلى داخل كوة المقهى، ثم يمسح الطاولات الحديدية من بقايا الشاي الذي انسكب من بعض الأكواب.. المطاعم الصغيرة التي تجاور المقهى تطلق أبوابها بعد انتهاء موعد وجبة الغذاء. زبائن المقهى يتغيرون باستمرار باستثناء حوار طويل بين شخصين.

عينا بائع الخبز تنكسران قليلاً مع لمحة للجسد الضئيل والوجه المليء بالتجاعيد يدخل عبر فتحة الزقاق بخطوات هادئة رتيبة .. وبعد أن يمر - صاحب الجسد



المتهدل - من أمام يتبعه بعينيه وهو يدخل كوة المقهى ، وينتظر حتى يخرج ومعه كأس الشاي ويجلس على الطاولة البعيدة فيحمل قرصين من الخبز ويضعهما أمامه. اليد تضع الجزء الأكبر من أحد القرصين في الجيب ليكون وجبة للعشاء.. بينما بقية القرص والقرص الثاني مع الشاي يشكلان وجبة الغذاء.

● الحركة داخل الزقاق المقل من أحد طرفيه تبدأ بالانحسار مع اقتراب الظهيرة من الانتهاء.. أقدام شخصين تقطع المسافة بين أحد المطاعم والمقهى لشرب الشاي .. صوت إغلاق أبواب المطاعم تتوالي.. الشمس تنحدر عن المقهى، صاحب الجسد الضئيل يظهر عند بداية الزقاق.

● البرد القادم على عجل يحيط بالجسد الضئيل.. البرد الذي غطى الجو برداء أبيض يردد بأنه لا مكان اليوم لاقتطاع جزء من قرص الخبز للعشاء وصاحب الجسد الضئيل يعبر الشارع باتجاه الزقاق المقل من أحد طرفيه.

بلا عنوان

د. عبد الولي الشميري

كم بت مشتاقاً لثغرك والقبل
قلبا تحطم فى هواك وما وصل
حيى تفجر عندما فقد الأمل
وغدوت مقتولاً فراقك لى قتل
الهبث أحشائي بلقيا فى عجل

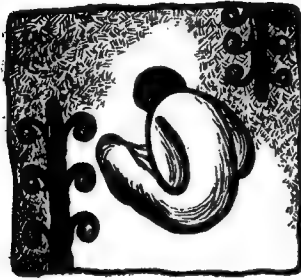
ولأنت فى عيني الثريا والزحل
جمر توقد بالمحبة واشتعل
ورأيت كيف الله أبدع فى المقل
والشوق يفضع من يحب مدى الأزل
إلا إليك وأنت بحرى والرمل
سخرته لهواك أشرق واكتمل

وحروف أقالامى وجامعة الدول
حدثت عن عشقى الأواخر والأول

أذوق من شفيتك يا حلمى عسل
أموت من ظمأ إذا لم ترجمي
إنى نبحث الصبر فيك وربما
وغدوت مجنوناً أهيم صباة
ولربما فى ضمة بعجالة

أنت الحياة جمالها وسرورها
ولأنت فى حلمى الأنيس وفى دمي
قدست فى عينيك معبود الهوى
ناح الهوى لما سفحت مدامى
أنا ما ركبت البحر يوما هائجا
والكامل المجزوء يزهو كلما

فسلى وقد حدثت عنك دفاترى
إنى أسيرك صائماً أو مفطراً



يا حبيذا تلك الجرائم والزلل
وذهبت أخلط بالرياء مع الفزل
باسمى وباسمك لا أكل ولا أمل
وثملت؟ ما ألقى الصبابة والثمل
والشمس تجرى حول خصرك والكفل
خديك فى حسد ويقتلها الخجل
فرجت غمماً لا أطيع له ثقل/

فامنع فؤادى من أحب وما سأل
إنى بما ترضى رضىيت ولا بدل

إن كان حبك زلة وجريمة
ضاققت بى الطرقات يوم فراقكم
وأكاد أصرخ فى المنابر كلها
ماذا يقال.. لقد سكوت صبابة؟
إنى رايتك فى المنام سحابة
ورأيت أوراق الحرير تغار من
فإذا أذنت بنظرة فكانما

يا ربا أنت بحبهم أضنيقتنى
عدلاً وفضلاً منك لا متبرماً



تحولات الأسفلت

هدى أبلان •

ينفتح طريق...
تراب يدينا على جانبي الحنين
انشقاق الروح نردمه بركضة جريحة
تلويحة نفى إلى ظلها كي نشتل
وجهنا المنكمش برنين دمة عليه
المنفك حين نصليه بليل الكتابة

طريق مرصع...
في سقفه غيمة الله تتهدج أية البوح
ينحفر نشيج خافت في آخر اليباس
نزرخفه بقصيدة أيلة للقطف والماء
ترتب بيتاً من القطرات
تودع فيه خفقتها كلما حل عراء الذبول
وتغسل جلدها كلما اغبرت رائحة الوقت

● رئيس اتحاد الكتاب اليمنيين، صدر لها «محاولة لتذكر ما حدث» ديوان شعر

طريق مرصع بمر...
نفرش حرقه الآهات
نستند إلى وجع فى حفرة القلب
نرشف أغنية حامضة
نمضغ خبز ضحكة لن تجئ
ننقى المرات إلى ذاكرة الغد المغلقة
وننثر دمناء الحلو فى كل الجهات

طريق مرصع بمر ويرد...
تصطك المسافة
يدثرنا من قارس الخطوة المفردة
يقذفنا إلى عيون أمهاتنا
يقربنا من حطب القلب
يشتعل فتيل أمة فى البارد من شرفة الليل
تنفلق جمرة الصباح
تصحو أحلامنا القادمة

طريق مرصع بمر ويرد وحصى
ترتج الخفقات الذائبة فى قلب الرمل
نحط على زجاج انقائها الجميل
يظهر فى انكسارها وجوه من نحب
ويزهو الفائض من ملامح الغياب

لقطة جانبية!!

محمد القعود●

جولة

قرر الفقر ذات لحظة أن يتنزه في شوارع المدينة..!
لكنه سرعان ما عاد بعد لحظات وهو ينشج بالبكاء:
- المدينة مملوءة بأنثامى!!!

تشجيع!

أوقفنى شرطى وقال لى:
- غن لى عن الحرية...!!
- أنا لا أعرف كيف أغنى يا سيدى..
- إذن ستغنى هذه العصا
وانهال على ضرباً حتى رقص صوتى على غناء جسدى!!

● من مواليد مدينة تعز المشرف الثقافي بصحيفة الثورة منذ عام ١٩٩٠ صدر له «كتابات بلون المطر» و«هتافات الشبيبة» و«على مهب الحنين مختارات شعرية» وغيرها

ذكاء

- سألنى مخبر غبي:
- يا مواطن .. ما رأيك فى الشمس..!!
- إنها تقتل الجراثيم .. وتبيد الظلام.
قال مندهشاً كمن وجد ضالته:
- إنك تعرف وظيفة الشمس الحقيقية، وهذه أسرار خطيرة تضر بأمن الدولة..!!

اكتشاف!!

- كلما كتبت قصيدة، أقرأها لصديق طفولتى..
عندما أسمعتة قصيدتى الأخيرة نظر نحوى باستخفاف قائلاً:
- إنها تافهة.. مازلت تتحدث عن الحب والطم والحرية.. يا غبى الا تعرف كيف تصفق .. جرب حتى تصبح عظيماً..!!

مشاعر

- سألنى مسئول بدرجة لص خطير:
- أتعرف البكاء!!
- حياتى كلها دموع.
- رانع .. هذا ما أبحث عنه.. أنا سأمتص دم البسطاء وأصادر أحلامهم وطبعاً
معها طعامهم وأشياؤهم الثمينة وأراضيتهم الخصبية.. وأنت تؤدى مهمتك.
- ما هى أيها السيد المبجل..!!
- أن تبكى على ما أصابهم نيابة عن مشاعرى الرقيقة!!

شهيد

- الشرطيان كانا لا يسمحان للضيوف بالدخول إلا ببطاقة الدعوة.
فتشا أحد الأطفال بدقة حسب مقتضيات الإجراءات الأمنية .

ظن الطفل أنهما يداعبانه فأطلق كركراته البريئة.. فتهافت المخبرون من كل زاوية والقبض عليه بتهمة الشغب وتعكير أجواء الأمن العام!!
وبعد لحظات من الواقعة جاء رجل يحتل منصباً مهماً ويرفقه ثلة من الحرس.
أدى المخبرون والمكلفون بالأمن تحيتهم للضيف المهم وكل يقول بتملق:
- تفضل يا سيدي.. أهلاً سيدي.. كل عام وأنت بخير يا سيدي...!!
خطا عدة خطوات في الممر المؤدى إلى الباب المفضى إلى قاعة تكريم الشهيد الذى وورى جثمانه قبل أربعين يوماً.
ما أن وضع الرجل المهم أقدامه على عتبات باب القاعة حتى ثار الباب وانفلق على نفسه قائلاً بصوت محتج:
- ممنوع دخول الاوغاد!!

جريمة!!

صرح مصدر مسعور بأن كلاب أحد المسئولين قد تعرضت لهجوم غاشم بالأحجار من قبل أحد المتسولين الذى كان يبحث فى برميل القمامة عن مخلفات طعام يسد بها رمقه.
مما دعا الكلاب للريبة فيه والانقضاض عليه.
وبدلاً من الاستسلام لها والخضوع لأنيابها التى حاولت بكل لطف أن تتحقق من هويته الشخصية وتواجهه بجوار برميل القمامة الموضوع بجوار منزل المسئول. قام المتسول المشبوه بتسديد احجاره نحوها محاولاً إخفاء مهمته الحقيقية.
وقد ألقى القبض على المتسول ويجرى حالياً فى الجهات المختصة غسيل لمعدته لمعرفة أبعاد المخطط الإجرامى!!

يحدث في النسيان

على المقرئ

نسيانا الكلام

جننا على حرب، في ليل يتراكم
فوق بعضه الذي هو نحن
قطعنا الأسفلت ومضينا في طريق
سيل خطواتنا إلى جهات تسطع
بالعتمة وهي تحترق بحطب الأوهام
وزيت العادة.
نمشي حيث لا نمشي
كائننا عرفنا الحرب أول مرة
أو عدنا من موت توغل في أصواتنا
نحن الذين كنا قد نسينا الكلام
نتحدث بصمت صافر(١)

جثة النصر

يهتكون النسيان
بحثوا عنه في الهيبة
صرخ أقل من رصاصة:
- أنا لست قميص الشعب
أو حذاء الدولة
لكنهم تحدثوا عن تفاصيله
كانه جثة النصر
كانه ليس هو
كانه كأنهم
كانه كان

١ - صافر: طائر يصفر ليلا خيفة إن ينام فيؤخذ ويقتل هو (أجن من صافر) (المنجد)

حدث ما حدث لأن هناك من تذكر
ما لم يحدث

.....

.....

.....

ما لم يحدث كان يحدث في
النسيان

٢٠٠٢/٥/٢١

أنام بدون عكاز

أنام في النهار

اصحو في الليل

أنام في الصحو

اصحو في النوم

هكذا، أكسر الأزمنة. من عضدها

أكسر حاجتك إلى،

حاجتي إليك،

لنبتك العالي

وانضباطك الرفيع

أكسر النهار من ساقه

وأنام بدون عكاز الغد

٢٠٠٢/١/٢١

كى لا نتفهم بالصمت أو بالكلام

صرت أشبه الذى هو أنا

أنا الذى هو كنت فى المرأة

لم أكن أنا الذى كنت هو خارجها

استسلمت للمرأة

أنا الذى هو فى خارجها

هو الذى أنا فى داخلها

صرت أشبه الذى هو أنا

٢٠٠٢/٨/٢٠

ثم قال

جاء قبل أن يحدث ما حدث

وكان يظنه ألا يحدث

ما حدث حدث فى حضوره

أحداث كثيرة، قال قد حدثت من

قبل

لكن ما حدث هذه المرة لم يكن قد

حدث

لقد حدث فى حضوره.

ثم قال:

هكذا، حدث ما حدث..

من مذكرات ضحية

عبد الرحمن غيلان

و حين أضعتني	بعث أساورى
لم أجدنى	لئلا أكن أرملة
.....
أزحت ستائر القلق	أضعت ربيع العمر
لتتوحد بنا العتمة	لتبقى بلا خريف
.....
جرعت كؤوسك	حين بكيت
لتتوازن كرة عاطفتك	غسلت روحك
قلمت أظافرى	و حين ضحكت
لتشعر بالأمان	أحسست بالخواء
.....
حين تحسست بقايا قدرى	كسرت كؤوس الفضيحة
لم أجدك	لتضيع تهمتك
حتى منفضة سجائرك	فى مزيلة الشارع
.....
تشبهنى	حين ضعت وجدتك

مقاس عربي

سوسن العريقي •

لكني أتعثر بأزمنتك الظامئة	في اصطخاب المساء
إلى إعادة صياغتي على مقاسك	بعروق من الضحك الفضى
أتعثر بقامة رجولتك	الملم المسامات النائية
التي تجلدك	عن هيكل المتوارث
قبل أن تجلدني	أرميه بوابل من الصراخ الراقص
لذلك،	يتساقط الألم المتفجر
الوذ بالمسافات القريبة من بوابة	شهقة..
النسيان	شهقة..
أتكوم ضوءاً يطهرني من مياهاك الآسنة	أدخل في كينونة الحلم الممتد
استعيد أنفاسي	براكسين ضوئية في
ألم ما تبقى من حواسي	دهاليزك

- شاعرة من اليمن
- عضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
- لها مجموعة شعرية بعنوان (مربع الألم)

استفيض نداءً متوسلاً

لمحكمة القلب الطينية

أن تنقى دمي من سطوة

خلاياك

الجا إلى تمرينات التنفس

كي أطلقك من صدري

دمعة..

دمعة..

أتكدس في الركن القصي من ضوئي

الذي لم تصل إليه نجومك

أخاثل الصمت المنبؤ في أضلعي

.....

.....

أشعر بالوحدة....

أتلذذ بطعم الإعادة..

.....

للذاكرة ثقب إسفنجية

حينما تمتلئ بالضوضاء

يظل مرجعها أبدياً.

أتهجك

أدخل مرة أخرى

في كينونة الحلم الممتد

برأكين ضوئية في دهاليزك..

لكنى هذه المرة

لا أتعثر

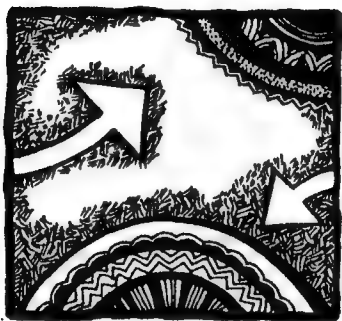
إلا بظلي الأعمى

الذي يسبقني إليك..!

تدحرج عملة فى سلم النفق

أحمد السلاوى

سأتجراً وأدعوك لتناول شىء ما	لأنك فى طريقى
فى مطعم به جناح خاص للعائلات	سأحاول أن أحبك
ستعذرين بأدب وتبتسمين لأول	مثل أى شخص رومانسى
قادم باتجاهنا	وربما مثل أى رجل
سأحاول أن أحبك مجدداً	وحين تبتسمين لى كالعادة
استعير لك كتاباً من المكتبة	سأخدع نفسى
سيكون عن كيفية الحوار بين	أظن أنك أحببتنى أيضاً
طرفين	وحين أحاول أن أكلّمك للمرة
ستعيدن الكتاب بعد فترة	الأولى
وتذهبين فى حوار طويل مع غيرى	ستعرق جبهتى
وحين أعود إلى البيت منكسراً	رغم أننا سنتحدث عن العولة
سأنزل درجات نفق التحرير	وربما عن حوار الحضارات



لأقنع نفسي بأن العملة سقطت منه
كما سقطت أنت من قلبي
قلبي الذي لم تدخليه أصلاً.

وأسمع صوت رنين عملة معدنية
تتدحرج على رخام الدرج دون أن أراها
سأتحسس جيب بنطلوني الفارغ

شرفات

إبتسام المتوكل

١ - صيد

كم يلزم من شرفات
من صمت لكل هذه العزلة
لكل هاته النساء
حيث لا بد من شرفة
من امرأة وحيدة، على الأقل،
ليصطادها شاعر عابر
ويسجنها في قصيدة عارية.

● ● ●

بعد الأطفولة

نصف اسمي امحى
منذ اكتشفوا أحزانهم
كتبوا بحروف شخصية
دموعاً - ملطخة بنسيانات كثيفة -
على سبورات مخصصة لآلم
انفرادى
ولم يذكرونى
وقعوا مواجههم
بأبجدية
مغايرة!!

٢ - تأثيث

لدى الكثيف من الوحدة
من الانتظار
من الصمت
لأوثث اشرفات كلها
وتنقضى شرفة واحدة فحسب
أغمرها بما تحتمل

من وحدتى
وصممتى
وانتظاراتى

...

٣ - شرفة حتى

أجلس فى الوحدة المدانة
فى الصمت الضاج بصخبه
فى الانتظار الفائز ببطولة كرة
السلة
أجلس
تخترقنى الحكايا
ولا أملك شرفة حتى

شرفة على الأقل
أحشرها فى القصيدة
متهمة إياها
بكل ذلك

...

٤ - بأصابع محترفة

عليها
- القصيدة -
أن تتألم
أن تنهمر مستوحشة
ولك
فى آخر المطاف - وربما فى أوله -
أن تنيلها باسمك
بعد أن تشذب بأصابع محترفة
الزائد من الألم
وتحذف (متعمداً) ما تراه تافهاً
وغير ضرورى
من انهياراتها

أسنة القري

احمد العواضي

ذهبت رباحك والبلاذ تنكرت حجراً، فأعطت
قلبك أحداً سمك، فأنت وحدك لا عصي
موسى، ولا فرساً براقاً في مذك. لمن ستشتك
لا أباً تشتك إليه أسنة القريين ولا سحراً فتشعله

يدالك؟

كم كبت قلق
لأما في بيد
ولا سقاء كي



كأن روحك
وحزنك شاق
الشجون
تراك.

لك والبلاذ

ذهبت رباح

للبل عابر لا

ترمه الرؤيا

وحى لك ما تجود به الإشارة وهي آخر
ما تبقى من هوالك، وكلما أرحيت أوسطها
على هذا المسمى الشعر تضطرب المقامات
العللى حزناً وتخذلك اللغات.

نشوة الماء

عبد الوهاب الحراسي

نشوة الماء، إن
مسك الماء تهتز أرض الصلاة،
يشرق الفجر للمسك اسماءك المدهشات،
كلما «التفت الساق بالساق» بالماء
أنسى دمي
جانحا للشهيق!!

هكذا، أنت أعلى وأقوى الغوايات لي:
كلما أشرق الصدر رمانه
رتل الورد أشواقه،
صعد القلب أسجاءه
جامحا في سهوب الكلام.

فتنة اللحن أم نهدة
فتقتها أقاليمك المذهلات!!



هكذا
أنت معزوفة
.. من تليق بأن يسمع الله إنغمها!!

هكذا كيف لي...
كيف أشعلتني وثنا اشتهي
فض هذا البهاء الطهور!!؟؟

هواجس

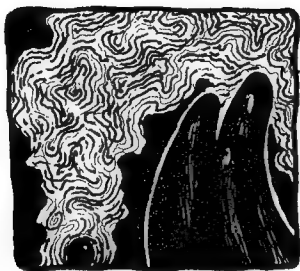
صلاح الشامي

هاجس اليتيم

• مرغ شدو الطفولة بالصمت
 اقصى الغريب
 عن الكائنات الصغيرة في حلمه..
 وعلى شط عينيه
 ترسو مراكب أحزانه
 مثقلات بغربة الامه...
 • يحتمسى من عيون الذين ...
 شماتهم،
 وابتساماتهم - كيفما يدعون
 صياغتها

هاجس القهر

نار
 يسعها الظلم
 ضد المساكين..
 يسلبهم عبق العيش
 في موئل الطير...
 يخرق القلب ذاكرة
 واماناً
 وأمنية بالحياة مع الناس،
 أغنية
 لحنها يتكرون.



هاجس العشق

صوفية شمس أهدابه...
يتعلق بالماوراء المتوقع..
تسكره أمة
وتذيب انهماراته
لمحة فى مرايا الهوى
حيث يكتنز الضوء
كل قوافله
فى الطريق المؤدى
إلى روضة
فى مراقى الفتون

● برزخ فى عيون الغريب...

يحول سوى ما يراه،

يحول إنصاته

- لرؤى بهجة فى جواه -

جحيماً...

● تدافعه أعين الناس،

والشك فى قلبه:

ليهم بما لا يعى آخرون.

بانتظار الملاك على الأرصفة

محمد حسين هيثم

الحفر	رحلوا
عند الحواف	لم يجدوا ما يفى بارتحالاتهم من
بقرب الحدود	قبور
وفى الإبر المستدقة	ما سيكفى لموت كثير كهذا
بين الهواء	ما سيكفى لموتى كتار
وجوف خيوط الظلام	
وفى فتلة الضوء	جلسوا بانتظار الملاك على
عند النهار	الأرصفة
لم يأتهم أحد	أسندوا فى الزوايا معاولهم
مددوا يأسهم ثم أرجلهم	ومقاطفهم
نصبوا فى الخلاء أراجيلهم	بعد أن
قرأوا فى الطوالع	جربوا



لا حفر فى تداولهم	ان الملاك سيأتى غداً
لا ثقب هنا
لا جروف هناك	لم يأتهم أحد
لا شقوق ترى فى الجوار
تركوا هكذا وحدهم	لم يأتهم أبداً
بانتظار الملاك على الأرضفة	من أيما جهة
يقضمون أظافرهم	أى غد عابر فى المدار
فى الزوايا	تركوا هكذا فى الخلاء
على كل منعطف	لا قبور لهم
قرب كل جدار	لا أخايد تجمعهم

المقاومة ونقد الثقافة السائدة

فريدة النقاش

هل العولمة الرأسمالية قدر لا فكاك منه؟ وهل هناك حقاً استحالة للنضال من أجل عولة بديلة تطلعت إليها الملايين التي انخرطت في حركة مناهضة العولمة منذ سياتل إلى نيس، ومن بورتو إليجيري إلى دربان، ومن جنوا إلى بومباي وأندلعت مظاهراتها الحاشدة المليونية ضد العدوان على العراق وتأييداً للشعب الفلسطيني لا.. بل تقدم هذه المظاهر كلها بعمقها وغناها وتنوع القوى التي شاركت فيها إجابة قاطعة وقوية وهي أن العولمة الرأسمالية ليست قدراً، بل وتستطيع الإنسانية أن تتصدى للهيمنة الامبريالية وتدحرها يوماً، والمقاومة في العراق وفلسطين وحركة مناهضة العولمة شواهد لكن هذه الإجابة البسيطة والساطعة والتي تكاد تتسم مرة أخرى بما يمكن أن نسميه قدرية مضادة لا ترد على كل التساؤلات المرتبطة بالقضية.

وأول هذه التساؤلات هو كيف يكون بوسع هذه القوى المتنوعة الهائلة أن تبلور منظومة جديدة مشتركة لثقافة المقاومة في ظل العولمة الرأسمالية، ثقافة ذات طابع تاريخي عقلاني ملهم، يكون مادته الأولية من كل ما هو إيجابي وتقدمي ومضئ في ثقافات الشعوب كافة، ذلك في الحقيقة وجه أصيل من وجوه ما بعد الحداثة حين ترد الاعتبار لثقافات الشعوب وللثقافات الفرعية المحلية وتتفهم سياقاتها وتعترف بحقها في الوجود والتأثير دون وصاية أو استعلاء أو تفاخر من قبل ما بعد الحداثيين المنتمين إلى ثقافات الذول الكبرى والذين

يسخرون من روح الهيمنة والتكبر فيها، وينتقد بعضهم الروح الاستشراقية والاستعمارية انتقاداً جذرياً.

وفى هذا السياق ذاته سوف تحتاج لجهود بحثية وتنظرية كبيرة لتحديد طبيعة المرحلة العاصفة التي يمر بها العالم خاصة أن الصراع الطبقي يشتد بين الشمال والجنوب وعلى صعيد كل بلد من جهة أخرى بعد أن سيطر النهابون والمرترقة كما وصفهم «زيجلر» على مقدرات الشعوب.

جرى اغتيال الفكر الماركسي اللبثاني مهدى عامل قبل سقوط المنظومة الاشتراكية التي كان قد عول عليها جزئياً في نظريته حول تداخل الوطني والطبقي في حركة التحرر العربية قانلاً إن الإنسانية تخوض معركة الانتقال إلى الاشتراكية وإن واقع مجتمعاتنا العربية هو أنها خاضعة للسيطرة الامبريالية، بوجودها في شبكة علاقات النظام الرأسمالي العالمي، فلا سبل لها إذن إلى الإفلات من القوانين الكونية التي تحكم حركة التاريخ المعاصر، من حيث هي، في الأزمة العامة للامبريالية، حركة الانتقال إلى الاشتراكية لهذا كانت حركة التحرر الوطني في جوهرها حركة هذا الانتقال نفسه وسيرونها سيرورته، وكان الصراع الطبقي فيها هو الصراع الوطني، فلا فصل فيه لوجه أو شكل منه عن الآخر، ولا تغليب لهذا أو ذاك إلا في الإيديولوجية البورجوازية وبتعبير آخر، إن التلازم في حركة التحرر الوطني بين العداة للامبريالية والعداء للرأسمالية قائمة بالضرورة..(١).

لاشك أن المرء يمكن أن يساوره القلق بل والدهشة أمام اقتراح تجديد مقولة عصر الانتقال إلى الاشتراكية خاصة بعد سقوط المنظومة الاشتراكية، وأكثر من ذلك توحش الامبريالية واحتلالها للبلدان، مع الإفقار المتزايد للليارات من البشر في تناقض صارخ مع الوفرة الهائلة في الثروات التي يمكن أن تشرع الأبواب على مملكة الحرية والفائض المتزايد منها والذي يشكل تكديسه أزمة متفاقمة للشركات عابرة القارات وهي عماد العولة.

ولكن وأمام هذا السؤال علينا هنا أن نضع في الاعتبار مجموعة من الحقائق ونحن نطلق من الواقع الفعلي لا نتمناه. ونستخدم أدوات الفكر العلمي النقدي للإسهام في بلورة سمات المقاومة الثقافية.

أول هذه الحقائق أن فشل التجربة الأولى في التاريخ لا يعني أن حاجة الإنسانية للاشتراكية لم تعد موجودة، بل إن تقادم الصراعات وتكثيف الاستغلال يجعل هذه الحاجة أكثر إلحاحاً خاصة بعد أن توفرت بصورة غير مسبقة كل الشروط المادية للانتقال إلى الاشتراكية من تقدم اقتصادي وعلمي وبنية تحتية عالمية عملاقة للاتصال والمعلومات ولانفتاح العالم على بعضه البعض، وبعد استخدام هذه الوسائط لتنظيم النضال المشترك في ١٥ فبراير حين انطلقت المظاهرة العالمية ضد العدوان على العراق نموذجاً.. جرى

تنظيمها عبر الانترنت ليشترك فيها ثلاثون مليوناً من البشر في كل أرجاء العالم. ثاني هذه الحقائق أن تشخيص المرحلة التي يمر بها التطور الإنساني باعتبارها مرحلة انتقال إلى الاشتراكية لا يعنى أننا سوف ننجز هذا الانتقال الآن أو خلال سنوات أو عقود قليلة فمثل هذا الأمر ليس وارداً في المسيرة الطويلة لتاريخ الإنسانية التي استغرقت عملية انتقالها من النظم ما قبل الرأسمالية إلى النظام الرأسمالي خمسة قرون. لقد حاول المفكر الاشتراكي الإنجليزي الراحل «رالف ميلاند» أن يرد ردوداً شاملة على كل أسئلة الانتقال إلى الاشتراكية بعد سقوط المعسكر الاشتراكي في كتابه «الاشتراكية لعصر شكاك» الذي نشرته دار المدى ورأى أن الوفرة الهائلة وتنامي ثورة الاتصال جنباً إلى جنب الخبرات المعاصرة الثمينة للبشرية وتراكم الثقافة التقدمية قد مهدت جميعاً الأرض لكي تنتقل الإنسانية إلى الاشتراكية سلمياً وديمقراطياً، بل ولكي تبذل نماذج اشتراكية جديدة هي ديمقراطية في العمق، وبألغة التنوع ويستحيل تخطيطها أو صبها في قالب واحد، لا فحسب لأن فصل الديمقراطية عن الاشتراكية كان أحد الأسباب الرئيسية لسقوط التجربة الاشتراكية الأولى، ولكن أيضاً لأن الاشتراكية على الصعيد النظري هي الديمقراطية الحقيقية التي لا ينفصل فيها الاقتصادي - السياسي عن الاجتماعي الثقافي أبداً.

كما أن الطبقي لا ينفصل عن الوطني في حالة البلدان التابعة أو المستعمرة في طرح «مهدى عامل» كذلك فإن الاشتراكيين مدعون لأن يطرحوا مشروعهم للانتقال على قوى اجتماعية وسياسية وثقافية بألغة التنوع لم تقتنع بعد بأن التجاوز المنشود للرأسمالية المتوحشة يمكن أن يكون اشتراكياً حتى لا نعيد إنتاج الأزمة وتتكون هذه القوى المتنوعة من الحركة النسائية الجديدة للخضر وأنصار السلام والبيئة، للجماعات الخيرية للحركات الدينية التقدمية للنقابات، وهم يدعون جميعاً لكي يناضلوا معاً وأن يبلوروا رؤية مشتركة في عملية صراعية طويلة المدى وعلى قاعدة اجتماعية واسعة جداً أضيرت بقسوة من الليبرالية الجديدة، وذلك من أجل تحرير الإنسان في كل مكان.

وفي هذا السياق تصبح الحاجة ماسة لنفض التراب عن الثقافة الثورية بكل تجلياتها في كل مكان من العالم ورد الاعتبار لها بعد أن تعرضت للتشويه والتعتيم عليها وإضاعة الوشائج العميقة فيما بينها واستكشاف عناصر الثقافة البديلة وبلورتها في الأدب والمسرح والسينما والنظرية والفن التشكيلي والعلوم الإنسانية كافة مع احترام المسافة الضرورية بين الثقافي والسياسي دون عزلهما عن بعضهما البعض فليست هناك سياسة ثورية دون ثقافة ثورية وتوفر ثورة الاتصال والمعلومات إمكانات هائلة للتعرف على الإبداع المتنوع للمقاومين في كل مكان، بل والتواصل معهم وخلق الروابط فيما بينهم من فلسطين للعراق

ومن البرازيل للهند ومن الصين لنيكارجوا، ومن مصر لفرنسا، ومن الأردن للفيليبين، وهو الشكل التنظيمي الذي تطلق عليه المنظمات الديمقراطية وصف الشبكات. وأسوق لكم تجربة من الأحياء العمالية في بريطانيا أطلق عليها صناعة «جمهورية الأدب» التي استهدفت التعرف على الطريقة التي طورت عبرها الطبقة العاملة، خاصة النساء والسود أشكالا جديدة للكتابة وطرائق جديدة جماعية ومحلية للنشر وإقامة شبكات للتوزيع، حيث تشكلت عناصر حركة تستهدف زعزعة مؤسسة الأدب، وجعل الكتابة شكلا شعبياً للتعبير يتمكن منه الناس جميعاً فلا يصبح حكراً على نخبة مدنيّة محظوظة وكأنما يستلهمون فكرة ماركس عن مملكة الحرية التي سيتحرر بها البشر جميعاً من أسر الضرورة والحاجة ويصبحون أحراراً كالطيور يطلقون جميعاً في عالم الفن ففي كل إنسان فنان مخفي؛ وحيث يذهبون إلى أقصى ما يمكن أن تحملهم إليه قدراتهم ومواهبهم في زمن قادم.

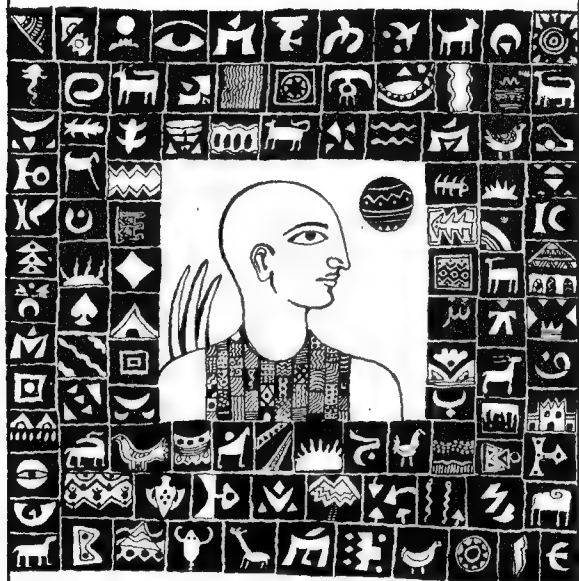
وقد انخرط في هذه المبادرات الكثيرون قادمين من مواقع العمل الفقيرة ومن مدارس تعليم الكبار وقصود محو الأمية نساء ورجالاً وأسسوا مشروعات للنشر المحلي، وانخرطوا في جماعات الكتابة، وورش العمل المحلية لكتابة التاريخ، وقد تنادت هذه المجموعات (كانوا ثمانية حين بدأوا) لتعمل مع بعضها البعض سنة ١٩٧٦ وكونت «اتحاداً للعمال الكتاب والناشرين المحليين» ومنذ ذلك التاريخ خرجت إلى الوجود أشعار، وقصص وسير ذاتية بعيداً عن المؤسسة الرسمية الراسخة للأدب، وعن اقتصاديات السوق التي تحكم عملية النشر التجاري» (٢).

رفع هؤلاء الكتاب المكافحون الذين عملوا شكل جماعي وقرأوا لبعضهم البعض شعاراً بسيطاً يقول «احفر حينما تقف».

ولم ينتج هؤلاء المبدعون «نصوصاً متجانسة، فلم يكن ذلك سهلاً طالما أن العملية تعكس الأساليب والحقائق الفردية لعدد من النشطاء الأفراد، الذين ويرغم توافقهم السياسي العام، فإنهم كانوا معنيين، بأن يعكسوا الفروق في التفاصيل والاختلافات فيها وحولها، فالاشتراكية هي بعد كل شيء تدور حول الاختلافات بين الأشياء تماماً كما تدور حول التماثلات بينها، ولم يكن هذا العمل معنياً بتعريفات مفهومية حلم بعضها بإنتاجها، ولكنه، أو على الأقل هكذا نأمل هو فهم عميق لحركة دائبة هي في حالة سيروية..

ذلك أن المساجلات والجدال حول الثقافة والطبقة والالتزام السياسي لا تدور فحسب حول من أين أتينا، ومن أي طبقة وموقع فكري، ولكنها تدور أساساً حول المسار أي إلى أين نحن ذاهبون...» (٣).

وبوسعنا نحن المثقفين النقيدين الملتزمين بقضية تغيير العالم والعالم العربي على نحو



خاص وتحريره من الاحتلال والاستبداد والاستغلال لا أن ننسخ آلاف التجارب الممنوعة التي تنخر بها بلدان العالم كافة متقدمة ومتخلفة غنية وفقيرة لدفع مشروع التغيير للأفضل إلى الأمام ولكننا نستطيع أن نستلهمها ونحن نبتكر أساليبنا في ظل معطيات واقعا وعلى سبيل المثال استطاع الحزب الشيوعي اللبناني في واقع تتوفر فيه إمكانية لتأسيس إذاعة أن ينشئ إذاعة «صوت الشعب» على غرار الراديو الشعبي في ميلانو بإيطاليا والذي يموله المستمعون كمساهمين ومتبرعين وهو صوت مثل إذاعة «صوت الشعب» لقوى التقدم وللضحايا التي يخفيها الإعلام التجاري دفاعاً عن مصلحة الشركات والاحتكارات الكبيرة، فالقوى الشعبية تتكاتف لخلق منابر لها حتى لو كانت محدودة الانتشار وحتى ضعيفة إلا أنها يمكن أن تستقطب بالتدرج أصحاب المصلحة الحقيقيين وهم بالملايين.

ويكون هؤلاء من خلال تجاربهم المشتركة ونضالهم لانتزاع مساحات متزايدة من حرية الحركة والتعبير وأشكال تضامنهم رؤى نقدية للعالم.

ويكتشف هؤلاء المثقفون العضويون المنخرطون في العمل الكفاحي أشكال التلاعب الإيديولوجي والتزوير في الثقافة السائدة فالموقف الإيديولوجي هو وبالأساس موقف طبقي له حضوره المستتر في القاعدة الفكرية التي ينطلق منها الشكل المعين للمعرفة ورؤية العالم. وتكتسب المقاومة الثقافية على صعيد الإعلام أهمية بالغة خاصة وقد استولت الشركات عابرة القارات على مؤسسات الإعلام الكبرى وفرضت هيمنتها عليها، واستولت نظم الحكم التابعة في بلادنا على كل من أجهزة الإعلام والثقافة، وحولتها إلى أبواب لتزييف الحقائق أو اجتثاثها ومدح الحكم، وترويج الرؤية الوضعية التجريبية للعالم دون الرؤية العلمية النقدية التاريخية التي تعني النظر للأمور بما هي عليه ومن الخارج دون محاولة التعرف على علاقاتها وقوانينها الداخلية وآلية حركتها، ويبدو كأن الواقع المعنى مع هذه النظرية الوضعية هو أبدى وثابت ولا يمكن تغييره، وأن كل الأشياء موضوعة في مكانها الصحيح وهو المكان الطبيعي أي «نظام الأشياء» وفق تعبير «بورديو».

ويبدو انقسام المجتمع إلى طبقات والأمر كذلك هو طبيعة الأمور التي لا يمكن تغييرها ويستمد فرانسيس فوكوياما مفاهيم كتابه نهاية التاريخ وصولاً إلى خلود الرأسمالية من الفلسفة الوضعية وسيادة المفاهيم الوضعية وترويجها يؤديان إلى تحذير الحكوميين وخداعهم، وتزييف وعيهم، وإزاحة الأسئلة، وسحق روح النقد لصالح الأناشيد، والتفاخر بأمجاد الماضي بدلا عن نذلة وهوان الحاضر وظلمة المستقبل، وقد أصبح الإعلام العربي في أيدي هذه السلطات أحد أقوى أدوات القمع وأكثرها إيلاهما إذ أنه في ظل انتشار الأمية الأبجدية ناهيك عن الأمية الإلكترونية تحول إلى أداة تثقيف أساسية مهدت الأرض وبذرت فيها بذور النظرة الأحادية الضيقة والرؤية المغلقة، تلك الرؤية التي غدتها من جهة أخرى

جماعات احترفت تكفير الآخر، وتاجرت بالدين، وسعت لتهميش المرأة وإعادتها إلى البيت باسم الإسلام.

إن خلق بدائل إعلامية هو المهمة التي على المثقفين النقديين إنجازها جنباً إلى جنب الكفاح من أجل ديمقراطية الإعلام القائم فعلاً، والاستفادة لأقصى درجة من الفضائيات الجديدة والتي تتمتع بهامش من الحرية من أجل وعى جديد وأسس أخلاقية تقوم على النزاهة في تكوين الإعلاميين الجدد وتحصين قدراتهم على العمل المشترك للدفاع عن حقوقهم وحررياتهم في البحث عن الحقيقة وتقديمها دون تزوير.. وإضاعة حقائق الواقع العربي وخبايا الصراع الطبقي فيه والكشف عن التلازم بين الصراع الطبقي والصراع ضد الاحتلال والتبعية، كذلك فإن إضاعة الروح الثورية في كل تراث الإنسانية وراثنا على نحو خاص مع إحياء الذاكرة الشعبية التي تختزن هذا التراث هي مهمة أخرى لتأسيس ثقافة مقاومة للعولمة الرأسمالية.

يذكرنا «نعوم تشومسكي» في كتابه سالف الذكر بما حدث «لمارك توين» وهو واحد من أكبر الأدباء والمناضلين الأمريكيين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والذي نسبته أمريكا فنسيه العالم كما يقول «تشومسكي» لأن الإعلام الامبريالي الجبار قادر كما نعرف على صنع النجوم وطمس الذاكرة الإنسانية التي تحتوى أسماء القادة العظام المناصرين للعبد والمساواة والكرامة الإنسانية.

كتب مارك توين يقول:

(إن دعاء إلغاء الرق لم يتم توقيهم إلا كذكرى) ويعلق تشومسكي:
«إن مقالات مارك توين نفسه المعادية للامبريالية تكاد تكون مجهولة حتى الآن، فلم تظهر المجموعة الأولى منها إلا سنة ١٩٩٢، وقد لاحظ الناشرون أن دوره البارز في رابطة معاداة الامبريالية وهو نشاطه الأساسي في السنوات العشر الأخيرة من عمره، يبدو أنه لم يلاحظ في أي من الكتب التي سجلت سيرته...» (٤).

ويعترف طلاب اللغويات في بلادنا «نعوم تشومسكي» نفسه كعالم لغة وأستاذ في «ال أم أي ت» أكبر وأشهر المعاهد العلمية في أمريكا، ولكنهم في الغالب الأعم لا يعرفون شيئاً عن كتاباته ومواقفه السياسية بسبب التعتيم الإعلامي الذي تمارسه المؤسسات الكبيرة في أمريكا وفي عالمنا على حد سواء.

وسوف يقول قائل إن «تشومسكي» الذي يكشف في دراساته عن البربرية المتجددة في عصرنا والتي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية يقول لنا ما نعرفه بحكم خبرتنا وتجربتنا خاصة بعد احتلال العراق والكشف عن الانحياز الأعمى للاستعمار الاستيطاني الصهيوني

فى فلسطين، وهذا صحيح ، ولكنه صحيح أيضا أن الوهم الأمريكى مازال يملأ عقول وقلوب الملايين من ضحايا البربرية الأمريكية على امتداد المعمورة وفى بلادنا وهؤلاء يرون أن الوجه الأمريالى لأمرىكا ليس إلا حالة عارضة، أما الأصل فى قيمتها ودورها فهو كونها وطن التقدم العلمى الهائل والحضارة الصناعية وما بعد الصناعية والأقمار الجبارة وقنوات التليفزيون والبضائع الفائتة، وواقع الأمر أن التجربة الأمريكية راكمت هذا التقدم على جثث ملايين الهنود الحمر ومن نهب ثروات الشعوب أى أن التعريف العلمى الموضوعى لها هو أن حقيقتها تكمن فى المقام الأول فى أنها دولة أمبريالية وهى الحقيقة التى يفضحها «نعوم تشومسكى» وتكشف عنها نتائج دراساته على نطاق واسع.

والمعرفة العلمية للواقع العالمى هي سلاح للجماهير فى معركتها المتصلة المتعددة الجوانب ضد الغزو الأمريالى والاستغلال الطبقي والاستبداد المحلى، وعلى نحو خاص ضد الأوهام التى يروجها عن نفسه كل من الغزو والاستغلال والتحالفات الحاكمة التى وضعنا نحن العرب فى ذيل العالم، وكدنا نخرج من التاريخ.

يفعل «تشومسكى» ذلك فى قلب المركز الأمريالى فيلتقط نتاج عمله آلاف المناضلين ضد الأمبريالية والاستغلال من فرق مسرحية لكتاب، ومن نقابات لأحزاب لصحف لا نعرف عنها شيئاً شأنه شأن مئات المبدعين الأمريكيين المعادين للأمبريالية والأمبريالية بلادهم على نحو خاص.

وفى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هناك آلاف آخرون من المثقفين الذين يبدعون بدورهم ثقافة المقاومة فى مواجهة الأشكال الجديدة للغزو والاستغلال.

وفى كتابه شهر ويوم.. مذكرات الاعتقال الذى صدر بعد شنقه يطرح الكاتب النيجيرى كير سييراويو القضية برمتها هو الذى أعدمته الدكتاتورية بالتواطؤ مع شركة شل للبترول التى فضح سييراويو ورفاقه عبر «حركة الدفاع عن بقاء شعب الأوجونى» ١٩٩٠ ممارسات الأمبريالية والاستبداد وتحالفهما مع احتكارات البترول..

والأوجونى هى جماعة عرقية صغيرة و٩٤٪ من الناتج القومى الإجمالى لنيجيريا هو البترول يوجد هذا البترول - فى الأساس - فى أراضي دلتا نهر النيجر التى تقطنها هذه الجماعات العرقية الصغيرة.

ومنذ عام ١٩٥٨ وبلاد الأوجونى تنتج البترول ولكن شعب الأوجونى لا يملك أى شىء يدل على امتلاكه أى ثروات أو موارد «أننى أريد العدل لشعب الأوجونى».

خلال ثلاث وثلاثين سنة أطلقت شركات البترول الغاز فى نيجيريا مما تسبب فى هطول الأمطار الحمضية والمعروف أن معدل سقوط المطر فى منطقة الأوجونى مرتفع للغاية وهكذا تهطل المطار الحمضية بغزارة وتفسد التربة ونظرا لأن العلاقة بين الحكومة النيجيرية

والاقلقيات العرقية هي علاقة استعمارية فإن مصالح شركة شل تمتزج مع مصالح هؤلاء الذين يديرون لغة الأمور في نيجيريا الآن».

يقول سيراويوا:

«إنى أنهم شركة شل بالعنصرية لأنها ترتكب أفعالاً فى أوجوني «لا تجرؤ على أن تمارس مثلها فى أوروبا أو أمريكا حيث تقوم بعمليات تنقيب عن البترول أيضا ويكتب سيراويوا عن دور الأدب كما يراه:

«الأدب يجب أن يكون مقاتلاً، وليس بوسعك أن تدعو للفن من أجل الفن، فهذا الفن يجب أن يفعل شيئاً لتغيير حياة أفراد المجتمع والامة، إن للادب فى مجتمع مثل المجتمع النيجيرى مهمة تختلف تماماً عن مهمته فى المجتمع البريطانى.

وانتم تعرفون أن الكاتب لا يكسب مالا فى نيجيريا ورغم أن نيجيريا تضم مائة مليون نسمة فإن معظم مواطنيها لا يستطيعون القراءة والكتابة وبالتالي فإن للادب رسالة مختلفة فى نيجيريا ها أنذا أمامكم لقد كتبت ٢٢ كتاباً و ١٥٠ برنامجاً ومسلسلاً تلفزيونياً استمتع بها كل مشاهد، ومع ذلك فإننى فقير، وهذا لا يهمنى كل ما يهمنى هو أن يكون فننى قادراً على تغيير وجه الحياة بالنسبة لعدد كبير من الناس، وتغيير مجتمع بأكمله وبلاذى برمتها.

ثم يضيف:

لم تعد المسألة الآن مجرد رحلة من رحلات الأنا لممارسة التأملات الذاتية وإنما القضية الآن السياسات الاقتصادية وكل شيء تعرفه، وعندئذ يصبح للفن مغزى ومعنى ودلالة سواء بالنسبة للفنان ذاته أو بالنسبة لمتذوقى هذا الفن، لأنك لا ينبغي أن تنتظر منهم قراءة كتبك فحسب، وإنما عليك أن تعيش حياتهم.

لذلك أقول إن للفنان فى مجتمعنا دوراً مختلفاً وفى تقديرى أنه دور أكثر قيمة وأهمية من دور الفنان فى الغرب، وعندما تطالب بحقوق الشعوب فإنه ليس بمقدورك أن تشرع فى التساؤل عما إذا كنت ستواجه خطر دخول السجن أو تتعرض للقتل أو أى شيء آخر، فالحق هو الحق، ويجب القتال من أجله.

ثم يضيف: «أن تموت محارباً من أجل أن ينصلح عالم معوج لهى أعظم هبة من الحياة». ثم يضيف: «وقد رأينا العديد من الطفافة فى الماضى يتساقطون والطفافة الجدد سوف يتساقطون أيضاً...».

وقد استخدم سيراويوا، مصطلح الاستعمار الداخلى، وكتب مسلسلات وروايات شعبية وكتابة سياسية ساخرة ومات فقيراً لفقت الدكتاتورية مع شركات النفط لسيراويوا وثمانية

من رفاقه تهمة قتل أربعة من المواطنين من أهالي الأوجوني المتهمين بالتعاون مع السلطة العسكرية، وقدمتهم لحكمة استثنائية حكمت عليهم بالشنق ورفضت كل الأدلة القاطعة التي تقدم بها أهالي «الأوجوني وحركتهم» وسارعت بتنفيذ الحكم بليل رغم الاحتجاجات والصراخات التي انطلقت من كل أرجاء العالم.

وفى ساحة الإعدام غنى كين سيروايوا ورفاقه نشيد حركتهم، وهتفوا فى وجه جلاديهم إن النضال سوف يستمر، وسوف ينتصر شعب «الأوجوني» وكل الشعوب التي تتعرض للاستغلال والنهب والإذلال.

وقدم سيروايوا ورفاقه نماذج لمثقفين ثوريين يختلفون كلية عن هؤلاء المشدودين إلى السلطة والمتطلعين للحصول على مكان لهم لدى السلطات، ويقدر ما عرف الثوريون واجبههم تجاه شعبهم عاشوا فى ضميره. (٥)

ويوسعنا أن نقدم ما لا نهاية له من خبرات المقاومة لدى الشعوب وأشكال إبداعها لثقافة جديدة تؤسس لمناعتها الأخلاقية والروحية، من مسرح الشارع فى البرازيل لأجوستينيووال هناك للشيخ إمام فى مصر لمارسيل خليفة فى لبنان لناس الغيوان فى المغرب.

وفى كتابه الجديد بوش فى بابل... إعادة استعمار العراق «يفرد الفكر الباكستاني» طارق على مساحة كبيرة لإسهام الأطفال فى المقاومة، ويترجم إلى الإنجليزية قصيدة تراز قباني أطفال الحجارة، ويلتقط نماذج من ممارسات أطفال العراق الآن مقارنة بممارسات أطفال فلسطين ضد الاحتلال.

ففى الأطفال نقاء ونزاهة أخلاقية تضئ الكفاح وشعرة واحدة من شعر رؤوسهم هى أعلى من كل هؤلاء الذين يجلسون فى مقاعد القضاة ليحاكموهم، فضلاً عن قاتليهم...».

وهناك موقف مشابه يتشكل الآن فى أجزاء من العراق حيث يقوم الجنود الأمريكيون بهدم البيوت بالبلدوزرات لمعاقبة أسر بكاملها لأن الأبناء أو الأب ربما يكونون انضراطوا فى المقاومة، وهناك عشرات الصور لصبية صغار وضعوا أسلحتهم على اكتافهم بينما يخضعون للتحقيق الذى يقوم به جنود أمريكيون وهو ما يذكرنا بالمشهد الفلسطيني.

وبعناية فائقة ينتقى الزائرون السياسيون من الغرب أطفالا عراقيين ليقبلوهم وهو ما يعيد إلى الأذهان مشاهد من المرحلة الاستعمارية، فهل يحتاج المرء لأن يتساءل كيف يتعامل الأطفال العراقيون مع الاحتلال؟

تقول لنا التقارير القادمة من العراق والرسائل الشخصية من الأصدقاء هناك إن أطفال الأحياء الفقيرة فى مدن بلاد الرافدين يقومون بمشاكسة المحتلين يومياً والسخرية منهم، معبرين بابتسامة عن ما يتداوله أبائهم والكبار منهم همساً وسراً، وهؤلاء الأطفال مجبرون الآن على قضاء سنوات تكوينهم تحت الاحتلال الأجنبي، وسوف يكونون هم من ينظم

انتفاضة فى مستقبل ليس بعيداً..»(٦).

وثقافة المقاومة ليست إنتاجاً أدبياً فنياً وفكرياً فقط ولكنها أيضاً نمط عيش واختيار ورؤية للعالم ومزاوجة بين الفكر والممارسة وتخلق لما أسماه جرامش المثقف العضوي، ووعى نقدى دائم الاشتغال يفكك ويحلل قيم العنصرية والاستغلال والاستبعاد من أى نوع، ويتأسس على مجموعة من القيم العالمية التى أنتجت البشرية وساهمت كل الثقافات والديانات فى بلورتها بما يتوفر فيها من عناصر تقدمية إيجابية.

وقبل سنوات قدمت المسيرة العالمية للنساء ضد الفقر والعنف مجموعة من الوثائق إلى كل من الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى تأسس على انتقاد شامل لسياسات الليبرالية الجديدة، وعبادة السوق والخصخصة وانسحاب الدولة وتوسيع قاعدة الفقر وشاركت فى وضع هذه الوثائق خمسة آلاف منظمة من كل أرجاء المعمورة، والآن تبلور المسيرة ميثاق النساء العالمى من أجل الإنسانية الذى ينهض القيم العالمية الأساسية والتى دافعت عنها النسويات، وهى المساواة بين الشعوب والأفراد والتضامن، وهو الرابطة التى تشد الإنسانية لبعضها البعض، والحريات التى تضمن ثراء التنوع، والعدالة والسلام وهى جميعاً قيم متداخلة ولا بد من التعامل معها ككل لا انتقائياً ولا بالتجزئة..»(٧).

ويقول نداء اللجنة التحضيرية للمنتدى الاجتماعى المصرى «إن المنطقة العربية لا تتعرض للإفقار وإهدار الحقوق الاقتصادية والاجتماعية فحسب ولكنها تتعرض أيضاً من فترة طويلة لمستوى من الاستبداد وإهدار الحقوق المدنية، ربما لا يتوفر فى أى منطقة أخرى بالعالم»(٨).

وكما نعرف فإن تقرير التنمية الإنسانية الأول فى الوطن العربى بين أن وضع الحريات فى المنطقة العربية هو الأسوأ فى العالم وهو ما يتوافق مع رؤية عدد من المثقفين شاركوا فى مؤتمر قضايا الإصلاح العربى، الرؤية والتنفيذ فى الإسكندرية فى شهر مارس أيضاً ورفض المشرفون على المؤتمر تضمين أفكارهم الانتقادية فى الوثيقة «إن الدعوة الأمريكية إلى الإصلاح الداخلى العربى، ونظراً لأزدواجية المعايير التى تتعامل بها مع قضايانا العربية، هى دعوة تفتقر إلى المصادقية، شأنها فى ذلك شأن الدعوات الرسمية العربية إلى ذلك الإصلاح فلا معنى لأى إصلاح داخلى ما لم يتصد لجميع أشكال الاحتلال والهيمنة الاقتصادية والسياسية والاستبداد..»(٩).

وثمة حرص من قبل المثقفين النقديين والثوريين فى ممارساتهم وكتاباتهم على أن: «مناهضة المظاهر والتجليات الحالية للعولمة التى ترمى إلى فرض الهيمنة والإفقار من خلال العسكرية المباشرة هى بالتحديد ما نرفضه، كما شددوا فى الوقت نفسه على أننا طرف أصيل فى النضال من أجل عولمة إنسانية بديلة استناداً إلى كل مظاهر التضامن

الإنساني التي جعلت فيها ثورة الاتصالات والمعلومات أمراً ممكناً.. (١٠). وسوف تعيننا ثورة الاتصالات والمعلومات على أن نكون نحن العرب دعاة التغيير للأفضل والمقاومة من أجله جزء لا يتجزأ من هذه الحركة المناهضة للعنصرية والتي تحمل جنين ثقافة جديدة للمقاومة وتساعدنا أيضاً على أن نكف القيود بأيدينا ونحن نراوج بين الفكر والعمل فليس في ملكوت الوعى وحده تحل أسئلة الواقع وتكتشف إجاباتها. يقول مشروع ميثاق النساء العالمى ضد الفقر والعنف ومن أجل الإنسانية أنه «شهادة على حبنا للحياة وامتناننا بجمال العالم»..

فمما لاشك فيه أن المناضل السعيد هو أقدر من المناضل الحزين على خلق الفرح فى قلب الكآبة والسواد كلما تقدمنا خطوة على الطريق الطويل لتغيير العالم وإخراج الاحتلال من أوطاننا والإطاحة بالاستبداد والفساد والنهب وبناء عالم جديد.. فمثل هذا العالم الأفضل هو ممكن.. كما كان شعار المنتدى الاجتماعى العالمى.

ونعود ونسأل هل أنتج الخيال البشرى حتى الآن يوتوبيا أكثر إنشداً إلى الأرض من الاشتراكية التى هى أعمق معنى للديمقراطية وليس لها نموذج مسبق.. هذا سؤال مطروح علينا جميعاً.

هوامش

- (١) مهدي عامل، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني، الطبعة السادسة، دار الفارابي ١٩٩٠ بيروت ص ٧.
- (٢) Dave mayel ynd ken worpole, editors the repiolic of letters working class eriting and local piplishing co- melia piplishing group. london.
- (٣) jhid.p.
- (٤) تشومسكي، مصدر سابق
- (٥) المقتطفات من أوراق الكاتب الشهيد كين سيراويوا - ترجمة وإعداد فريدة النقاش، مجلة أدب ونقد عدد ١٣٢ أغسطس ١٩٩٦ ص ٩٧ - إلى ١١٢.
- (٦) tariq all. bush in lon. the. recdonization of traq. verso. london.2003.p.
- (٧) consultation guide. women globet charter for humanity. release by the world marsh of women against pov- eny and violence. violence marsh.
- (٨) نداء من اللجنة التحضيرية للمنتدى الاجتماعى المصرى مارس ٢٠٠٤ ص١
- (٩) مجلة الآداب - مارس ٢٠٠٤ بيروت ص٦
- (١٠) نداء من اللجنة التحضيرية للمنتدى الاجتماعى المصرى - مصدر سابق ص ١

صور المقاومة فى الميخايل الشعبى سيرة «على الزبيق» أنموذجا

د. محمود إسماعيل

أبدع الميخايل الشعبى فى العالم الإسلامى فى العصور الوسطى أدبا ينبض بالحياة ويستهدف أغراضا عملية، من حيث استجاشة الشعوب ضد النظم المتسلطة فى الداخل وجهاد القوى الخارجية المغيرة بعد تقاعس الحكام عن مواجهتها.

من هنا يمكن اعتبار الأدب الشعبى سجلا تاريخيا للمقاومة، فى مواجهة التاريخ الرسمى الذى «صنعتة المؤرخة للملوك» على حد تعبير ابن عربى.

من هنا أيضا كان إحجام مؤرخى البلاط عن التاريخ للمعارضة الشعبية: اللهم إلا من قبيل «إنجرار الكلام»، حسب قول ابن الخطيب (١). إذ عولوا على ذكر العوام الثوار باعتبارهم «أهل بدع وضلالات» واعتبروا الزعماء الشعبين خبثاء مارقين قادوا العوام لإضرارهم «فتن» ضد من جعلهم الله ظللا له فى الأرض. ولم يتورعوا عن نعت الثوار بنعوت الأراذل والسفلة والفوغاء والسوقة وغيرها من النعوت المسفهة. كما اعتبروا نضالهم محض سلب ونهب وتطاول على «أولى الأمر» غايته الفساد والإفساد واللصوصية وقطع الطرق. بل كثيرا ما اتهموا بالإباحية وتبنى الدعوات الهدامة، إلى جانب العمالة لدول

أجنبية.

وبرغم صدق مقولة كون الشعوب صانعة التاريخ وسرقة من قبل الحكام، فقد جرى احتقار الفلاحين وأهل الحرف والصناعات من قبل مؤرخى البلاط وفقهاء السلطان، لأن «أعمالهم تابعة وممتهنة» يتداولها «حسيون عتاة سقطة ورعاع وأراذل»، تتسم أخلاقهم «بالمكايسة والمماحكة والفجور والبعد عن المروءة»، فضلا عن «التصنع والملق» لأنهم أساسا مجرد «همج هامج ورعاع منتشر، لا نظام لهم ولأ اختيار» (٢). هذا على الرغم من كون العوام صناع الحضارة الذين «فنيت أبدانهم فى خدمة أهل الدنيا، وكثرت همومهم من أجلها، ولم يحظوا بشيء من نعيمها ولذاتها» (٣).

بديهي أن تنسحب تلك النظرة الاستعلانية لمؤرخى السلطة وفقهائها على تقويمهم أدب العوام. فقد وسموا الأدب الشعبى بالدونية، إذ هو نتاج عقول أناس «لا يحيزون بين الفاضل والفضول.. وعدم معرفة الحق من الباطل» لأنهم «جهلة لم يستضيئوا بنور العلم» (٤)، وإن شذ البعض فاشادوا بما أبدعه مخيال العوام، إذ «لهم من النوادر والتنكيكات والتركيبات وأنواع المصطلحات ما تملأ الدواوين كثرت.. إلا أن مؤلفى هذا الأفق ضعفت همهم عن التصنيف فى هذا الشأن» (٥) كما لم يهتم المحدثون بأدب العوام إلا فى وقت متأخر، على الرغم من «تعبيره عن محتوى اللاوعى فى الذات العربية»، بل إنه يمثل «القطاع المخفي، المنسي، المهمل والمضمر فى التاريخ والذات»، ومن ثم فهو يضى «الصورة والظل المظلم فى التاريخ العربى» نظرا لتعبيره عن «الكامن المكبوت واللاوعى القابر على مله الظل فى الشخصية العربية» (٦) هذا فضلا عن كونه كاشفا عن زيف التاريخ المكتوب «بما يحويه من أكاذيب وضلالات» (٧).

وهذا يعنى أن الأدب الشعبى يدخل فى إطار «المسكوت عنه» من قبل القدامى، كما ظل من قبيل «اللا مفكر فيه» من لدن الدارسين المحدثين، حتى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى (٨).

سكت عنه القدماء لأنه أدب تعرية لمفاسد السلطة، وتحريض على مناورتها. ولعل هذا يفسر لماذا جرى اعتباره - آنذاك - «أدبا مكثوبا»، ولماذا أوعزت السلطة إلى عمالها ومحتسبيها بمصادرته، ومعاملته معاملة السحر والشعوذة (٩). بل لم يتورع فقهاء السلطة عن اعتبار إبداع العوام «فساد للدنيا، وتقفه السفلة إفساد للدين» (١٠).

وعلى العكس، دأب الفقهاء المستتبرون وزعماء المعارضة على تثقيف العوام بل وتعليمهم المنطق والفلسفة، كما هو حال الناثر الأندلسى محمد بن مسرة (١١)، وأبى حيان التوحيدي. بل إن ابن حزم الأندلسى دعا إلى «نشر العلم ما أمكن.. حتى يهتف به على قوارع الطرق وفى شوارع السابلة» (١٢).

لذلك استهدف أدب العوام تحقيق أهداف أغراض سياسية واجتماعية واقتصادية ، فضلا عن استجاشة الجماهير لمقاومة النظم الجائرة ومواجهة الأخطار الأجنبية(١٢) . إذ تخلق هذا الأدب خلال عصور ماجت بالتشرذم السياسى والجوائح والأزمات الاقتصادية والصراع العنصرى والطائفى والتجحر الفكرى، فضلا عن تعاظم قوى أجنبية فى العالم الإسلامى.

وإذ تسببت النظم القائمة فى تلك الكوارث، وفشلت الثورات الاجتماعية المنظمة نتيجة تساط النظام العسكرية القائمة وبطشها بالثوار، لم يكن هناك مناص من اندلاع انتفاضات شعبية استهدفت «تحقيق العدل رفع الظلم وإقامة الشرع»(١٤) بما يعطى لتلك الانتفاضات مشروعيتها.

من هنا يمكن اعتبار الأدب الشعبى تعبيراً عن هموم المظلومين وطموحات المكذوبين، باعتباره سلاحاً تحريضياً تعبويّاً إلى جانب المقاومة بالسلاح. لذلك فهو أدب نضالى بامتياز أبدعه المخيال الشعبى ليحمل طموحات الوجدان الجمعى فى الخلاص من النظم الجائرة وبناء مجتمع للعدالة والاستقرار فى إطار من قيم الإسلام وشمائل الفروسية. ولا نحرو، فقد كان أغلبه شفافياً، كما تنوعت أنواعه وأجناسه، من حكم وأمثال، وأدب الزهد والرقائق، وأدب الفتوة، والكرامات الصوفية والأزجال وأدب الكدية، والمدائح النبوية، فضلاً عن السير والملاحم الشعبية.. وغيرها.

فأمثال العوام تنطوى على تجاربهم ومعاناتهم وتعبّر عن قيم الصبر والقناعة والتراحم والتكافل فى مجتمعات غصت بالفساد والاغتراب، بما يعزى الواقع المعيشى ويكشف سوءاته وكيفية إصلاحه.

أما أدب الفتوة فيتضمن قيم الفروسية ويحض على الجهاد ويغرس الفضائل الروحية، بما يحافظ على سلامة الأمة ووحدةها.

ويجسد أدب الكدية هموم الفقراء والمهمشين ومعاناتهم فى خطاب ساخر يكشف عورات التفاوت الطبقي.

ويجسد أدب الزهد والرقائق والكرامات الصوفية مدى اليأس من الإصلاح والتماس الحلول عن طريق العجزات وكرامات الأولياء.

ويعكس فن الأزجال إبداع الوجدان الشعبى وخصوصية القريحة فى مواجهة فن المؤشحات الذى تبذره الأرستقراطية، بما يؤجج نيران الصراع الطبقي.

وتستحضر المدائح النبوية فضائل عصر الرسول(صلى الله عليه وسلم) وتطرحها كمثل أعلى لأحلام المكذوبين فى بناء مجتمع فاضل.

وأبداع المخيال الشعبى نوعاً من التمثيل المرتجل - كخيال الظل - الذى يسخر من الحكام

ورجالا السلطة وكبار التجار باللسان توطئه لتقويمهم بالسنان (١٦).
قصارى القول، إن المخيال الشعبى أبدع أجناسا من الأدب المعبر عن هموم المكودين والكادحين، ويعكس صورة حقيقية عن واقع مظلم، ويجيش الأمة لتغييره كوسيلة لتأسيس مجتمع فاضل تسوده قيم الإسلام فى الأمن والعدل والتوحد، كذا تركية قيم «الفتوة»، بما تنطوى عليه من فضائل كبديل لمفاسد الارستقراطية الحاكمة التى افضت إلى التشرذم السياسى والضائعات الاقتصادية والانهيار الخلقى والصراع العنصرى والطائفى والجمود الفكرى، وتعضم الأخطار الخارجية.

ولا يخلو الإبداع الشعبى من طابع جماعى قصد به الترفيه عن المكودين، وتخفيف كدر العيش ومكابدة الحياة.

لذلك، انطوى على بعد نقدى واضح، إلى جانب خيال خصب وثقافة أطلق عليها النقاد إصطلاح «الحرية الواقعية»، لمزجه الواقع بالخيال، والحقيقة بالحلم، والشاهد بالغائب، بما يقضى إلى إبداع تاريخه شعبى أكثر مصداقية من التاريخ الرسمى (١٧).

تلك رؤية عامة من روح المقاومة فى المخيال الشعبى، سنحاول تعميقها بدراسة أدب السيرة أو المحمة الشعبى، من خلال قراءة تاريخية لسيرة «على الزبيق».

يجمع نقاد الأدب على انطواء السير الشعبى على قدر كبير من «الدراما»، نظرا لبنائها على أساس الصراع بين الخير والشر. كما تنطوى على بعد ملحمى يجسد روح المقاومة الشعبى فى مواجهة واقع مظلم، طموحا إلى يوتوبيا «فاضلة» (١٨) مستمدة من العصر الذهبى للإسلام، فى إطار عروبى قومى.

فسيرة «سيف بن ذى يزن» تحمل مضمونا نضاليا فى تحزير الأمة من المستعمر الأجنبى. و«سيرة عنترة» تدور حول تحرير الإنسان كأساس لتحرير الأمة. و«سيرة حمزة العرب» تركز على التحرر الاجتماعى. و«سيرة الأميرة ذات الهمه» تجمع بين تحرير المرأة المسلمة والجهد ضد الخطر الأجنبى.

و«سيرة بنى هلال»، تستهدف القضاء على العنصرية والتعصب القبلى كأساس لتوحيد الأمة. و«سيرة الظاهر بيبرس» تستهدف بناء مجتمع فاضل تصنعه الطبقات الكادحة مع الحكام العدول المستنيرين (١٩).

وتستهدف السير الشعبى جميعاً تحقيق وحدة «دار الإسلام» على أساس من العدل الاجتماعى. ومن ثم لم يقتصر إطارها المكائى على إقليم بعينه، بل شملت العالم الإسلامى بأسره.

كما امتد زمانها إلى عصور ما قبل الإسلام وحتى تاريخ إبداعها. وانتقلت أبطالها وشخصياتها من التاريخ الإسلامى العام بمنهجها الخيرة والشريرة.

وتمحور الصراع فيها بين العروية والعجمة بين الأبطال الشعبيين والحكام الجائرين. ويشى إبداعها بهدف تعرية الواقع المظلم وتقويضه، لتأسيس واقع جديد مضى. لذلك يمكن اعتبارها أدبا تضاليا بدرجة أو بأخرى (٢٠). إذ جرى توظيفها فى إنكباء الوعى، واستثمارها فى شحذ الهمم. لقد كانت بمثابة «نشد للثورة» أو «مانيفستو» للثوار. فنحاول بلورة وبرهنة تلك الرؤية من خلال قراءة سيرة «على الزبيق» كنموذج يغنى عن دراسة بقية السير والملاحم الشعبية.

تدور وقائع السيرة حول بطلها «على الزبيق» أشطر شطار مصر فى أواخر العصر المملوكى وأوائل العصر العثمانى.

ومعلوم أن ظاهرة الشطار فى مصر تمت إلى ظاهرة «الفتوة» التى شهدها العالم الإسلامى بأسره تعبيرا عن الانتفاضات الشعبية ضد نظم جائرة وحكومات متسلطة. فقد عرف الفتيان فى العراق باسم «العيارين» وفى الشام باسم «الأحداث» وفى مصر باسم «الشطار» وفى آسيا الوسطى والهند باسم «الفتاك» وفى آسيا الصغرى باسم «الأخية» وفى المغرب باسم «الضفورة» وفى الأندلس باسم «الفتاك» أو «الصفورة».

وكان للفتوة «تنظيماتها» ورسومها وشعاراتها المميزة وقد استهدف الفتيان الحكومات القائمة وكبار موظفيها فضلا عن كبار التجار الذين ارتبطت مصالحهم بالسلطة. وشهد العالم الإسلامى انتفاضات الفتيان التى نجحت أحيانا فى إقامة حكومات شعبية فى بعض الأقاليم أو المدن ترجمت فضائل الفتوة - من شجاعة ونجدة وفرسية وإنكار للذات... إلخ إلى سياسات عملية تستهدف تحقيق الأمن والاستقرار والعدالة الاجتماعية. ويرغم فشلها فى إسقاط النظم الجائرة، إلا أنها نجحت فى إرغام الحكام على اتباع سياسات إصلاحية أحيانا كما خففت من وقع الظلم الاجتماعى على الفقراء والمهمشين بالاستيلاء على أموال الأغنياء وتوزيعها عليهم (٢١). لذلك حظى زعماء الفتيان بإعجاب العوام، فأصبحوا فى نظرهم زعماء شعبيين نسج حولهم الميخال الشعبى أدبا ملحما.

من هؤلاء «على الزبيق» الشاطر المصرى الذى كان فى الأصل عيارا فى بغداد حول منتصف القرن الخامس الهجرى. لقد جرى إحياءه كبطل مصرى ملحمى فى السيرة التى حملت اسمه فى أواخر العصر المملوكى وأوائل العصر العثمانى.

أما عن بقية شخوص السيرة، فمعظمهم لهم وجود تاريخى، سواء كانوا حكاما أو من اتباعهم أو من مشاهير الفتيان. انتخبهم الميخال الشعبى - دون نظر للزمان أو المكان من التاريخ الإسلامى، وأعطاهم أدوارا تكشف عن كونهم أخيارا أو أشرارا. بمعنى أن هذا الميخال نسج تاريخا خاصا منتخبا يتجاوز التاريخ الرسمى إلى التقويم الشعبى لحقيقة هؤلاء الشخوص (٢٢).

فماذا عن وقائع السيرة؟

يمكن تلخيصها فيما يلي: (٢٢)

تبدأ السيرة بخلفية تاريخية عن تحكم العجم في الخلافة العباسية عن طريق حيل «دبيلة» المحتالة التي أوفدها ملك الفرس إلى بغداد لتحقيق هذا الهدف. إذ قدر لها أن تتولى منصب «مقدم الدرك» بعد احتياله على «الرشيد» كما تمكنت من طرد «أحمد الدنف» زعيم العياريين من بغداد.

وامتد نفوذها إلى مصر فعزلت مقدم دركها «المقدم حسن» الذي هرب إلى الفيوم وتزوج «فاطمة الزهراء» ابنة القاضي «نور الدين» لجمالها وذكائها.

انصرف المقدم حسن إلى ممارسة قطع الطرق ونهب تجارات كبار التجار وتوزيعها على الفقراء. لذلك أوعز عزيز مصر «أحمد بن طولون» إلى مقدم الدرك «صلاح الدين الكلبى» بقتله، ففس له السم.

أنجبت الزهراء طفلاً أسمته «على» وتولت تعليمه وإعداده للأخذ بثأر أبيه، فأوفدته إلى «الأزهر» لكنه أثر أن يتعلم فنون الفروسية بـ «ميدان الرميعة»، حيث اختلط بالشرطة فاحتضنوه ونعته بصفة «الزبيق» لذكائه وشطارته.

استعان «الزبيق» برفاقه الشطار للانتقام من «الكلبى» فأخذوا ينددون بظلمه وفساد سيرته في المساجد. ثم تذكر الزبيق في صورة «طباخ» والتحقيق ببلاط العزيز، حيث أحاط علماً بأسرار الدولة. ولم ينس سرقة اللحوم من مطبخ العزيز وتوزيعها على الفقراء.

ثم تذكر في صور مختلفة - مرة كطبيب وأخرى كفتاة ليتمكن من الإيقاع بعزيمه «الكلبى» وفضح أعوانه من موظفى الدولة. وأبدى من ضروب الدهاء والحيل الكثير، لكن غريمه أوقع به بعد جيك حيلة خسيصة دبرها مع أخته. إلا أن «الزهراء» ظهرت في الوقت الملائم متشحة بزى فارس تمكن من قتل أعوان «الكلبى» وإنقاذ «الزبيق».

وكى تساعد «الزهراء» ابنها - دون أن تكشف له عن كونها أمه - لتحقيق مقاصده النبيلة، طلبت منه السفر إلى الإسكندرية حيث احتضنه كبير شطارها «أحمد الدنف» وزوده بالعتاد والسلاح والرجال لاجتثاث الفساد وإنقاذ العباد من ظلم العزيز ومقدم دركه.

وهنا تحولت أهداف «الزبيق» من الثأر الشخصى إلى مناهضة السلطة. وبعد عدد من الحيل الذكية تمكن «الزبيق» من الاستيلاء على أموال العزيز وتشويه صورته أمام الرعية. حاول العزيز استمالة الزبيق ليأمن حيله، فعينه في منصب «مقدم درك مصر» وقائد وفاق الزعر» واستثمر الزبيق الفرصة في إنصاف المظلومين والإحسان إلى الفقراء فحظى بحبهم وإعجابهم.

كما قام بزيارة لجميع أقاليم مصر وحقق الأمن.

والاستقرار بعد إقرار العدالة الاجتماعية. كما انضم إليه الشطار من جميع الأرجاء، الأمر الذي زاد من قوته.

على أن حلم الزبيق تمثل في إصلاح أحوال العالم الإسلامي كله. لذلك ساند زعيم شطار المغرب الذي جاء إلى مصر للانتقام من عزيزها الذي حاول إغواء خطيبته الهاربة مع أبيها من المغرب خوفاً من حاكمها الذي حاول من قبل ضمها إلى جواريه بالقصر. وتبرز السيرة موقف التآخي بين الزبيق وشطاره مع رفاقهم المغاربة، وهو أمر أثار غضب عزيز مصر على الزبيق فحاول التخلص منه مستعيناً بحيل «دليلة» المحتالة والطامعة في منصب مقدمة الدرك.

وحين أحكت الحيلة للتخلص من الزبيق بالتواطؤ مع «الكلبي» ظهرت «الزهراء» لإنقاذ ابنها.

أدرك «الزبيق» أن أمن مصر مرتبط بأمن الشام والعراق، فقرر السفر إلى بغداد مروراً بدمشق للقضاء على الفساد في حاضرة الخلافة.

وفي دمشق تأخى مع مقدم دركها «ابن السكري»، لكن الخليفة أوعز إلى الأخير بقتل «الزبيق» لكن محاولته باءت بالفشل، وانتهت بقتله، وعين الزبيق أحد شطار دمشق مقدماً عرف بالنزاهة والكياسة والعدل.

وفي الطريق من دمشق إلى بغداد أظهر الزبيق من أفانين الحيل والدهاء ما جنبه شهور المكائد التي واجهته.

ولما وصل إلى بغداد عقد الرشيد عدة مباريات بينه وبين عياري بغداد، انتصر فيها جميعاً، الأمر الذي أثار إعجاب الرشيد، فعينه مقدماً للدرك بالاشتراك مع «دليلة» المحتالة. لكن الأخيرة حاكت المؤامرات لقتله دون طائل نظراً لوقوف عياري بغداد بزعامة «عمر الخفاف» إلى جانبه.

عكس الصراع بين «الزبيق» و«دليلة» صراعاً أكبر بين العرب والعجم، انتهى لصالح العرب.

وقع «الزبيق» في حب «زينب» ابنة دليلة فوجدت الأخيرة الفرصة المواتية لإظهار عجزه. إذ كلفت بهما جسام - كإحضار القطفان الذهبي المطلسم الذي يملكه اليهودي عزوز في مدينة صفد - نجح في إنجازها جميعاً بمعاونة عياري بغداد و«الزهراء».

ولما أعيتها الحيل، أوعزت إلى «رستم» ملك الموصل لغزو بغداد والتخلص من الزبيق والرشيد في آن. لكن الصلة باءت بالفشل بعد صمود العيارين في دهر الغزاة. كما فشلت حملات أخرى ولاقت المصير ذاته للأسباب نفسها.

دبرت «دليلة» مؤامرتها الأخيرة بالاجوء إلى ملوك العجم للقضاء على الخلافة، ومهدت لذلك

بخطف أبناء الرشيد - الأمين والمأمون والمعتصم - بعد تخديرهم. كما توأطأت مع ملك الروم للهجوم على دار الإسلام، لكن جيوش العيارين والشطار قدمت من مصر والشام والمغرب ليقودها «الزبيق» لتحقيق النصر الذي توج بزواج «الزبيق» من «زينب». وفي نشوة الانتصار والزواج السعيد وردت الأخبار بتسلط عزيز مصر وظلمه الرعية، فيعود «الزبيق» إلى مصر وقتله ويعين «الفضل أبي العباس» بدلا منه. وفي أثناء وجوده بمصر، اضطربت أحوال بغداد لكثرة المارقين على الخلافة المدعين بتأمير الروم والفرس، الأمر الذي دفع «الزبيق» للعودة إلى بغداد ليقضى على الفتن ويعم الأمن البلاد والرخاء العباد.

عندئذ يصاب «على الزبيق» بداء عضال أفضى إلى وفاته بعد أن حقق بغيته، فنعاها الخليفة برثاء أشاد فيه بمآثره، وحرنت عليه الرعية بعد أن نذر حياته دفاعا عن آمالها التي صارت واقعا بعد أن كانت حلما.

باستقراء وقائع سيرة «على الزبيق» يمكن استخلاص الحقائق الآتية: أولاً: خطأ رؤية مؤرخي البلاط وفقهاء السلطان إلى العيارين والشطار باعتبارهم لصوصا وقطاع طرق، إذ قدمت السيرة من الشواهد ما يؤكد انطواء «الفتوة» على شمائل وفضائل أهلهم ليكونوا زعماء شعبيين.

كما أهلتهم نضاليتهم لأن يصبحوا أبطالاً ملحنيين. ثانياً: بالقدر الذي توجه نضال العيارين والشطار لمناهضة الحكومات الفاشمة، بالقدر الذي أزروا الحكام العدول المستبشرين.

ثالثاً: انطواء الفتوة على نزعة اشتراكية، بمصادرة أموال الأغنياء وتوزيعها على الفقراء. ثالثاً: تسليخ الفتيان بالزكاء والدهاء إلى جانب السلاح والعتاد، بينما تسلحت السلطات الجائرة بالشعوذات والسحر والطلاسم وتدبير المؤامرات الخسيسة.

رابعاً: تغاظم درجة الوعي السياسي والاجتماعي عند العيارين والشطار، وهو ما تشى به آلية «التأخي» كتقليد إيجابي يستهدف لم شمل الثوار لمواجهة السلطة.

خامساً: قدرة الفتيان على الفرز والانتخابات وتبيان التاريخ الحقيقي من خلال التمييز بين الأخيار والأشرار.

فكثير من شخوص السيرة الأخيار اتخذوا أسماء آل البيت كعلي والزهراء والحسن وزينب وغيرهم من أحيت السيرة شمائلهم كأنموذج يحتذى. بينما كان اختيار أسماء «ابن طولون» ومصالح الدين، ونعته بنعت «الكلبي» تعبيراً عن كونهم تاريخياً من الحكام الظلمة الذين رفضهم الوجدان الشعبي واحتفى بهم التاريخ الرسمي. أكثر من ذلك كشف السيرة عن المواقف المخزية لمشايخ الأزهر الذين كانوا مبررين ومسوغين بجور الحكام الظلمة.

سادساً: تأصيل نزعة عروبية فى إطار إسلامى لمواجهة الشعبين، وتزكية الجهاد كقيمة إسلامية نضالية ضد الحكام الجائرين إلى جانب مواجهة الأخطار الخارجية. كما يتم نشاط «على الزبيق» فى بغداد ودمشق والقاهرة على ضرورة إصلاح قلب العالم الإسلامى كخطوة أساسية نحو إصلاح أطرافه.

سابعاً: لم يكن إبداع السير الشعبية تأكيداً لنبوغ العوام وثقافتهم الواعية فحسب، بل يشى كذلك باتخاذها وسيلة للنضال باللسان إلى جانب المقاومة بالسنان. ذكر ابن إياس أن عوام مصر الذين ناضلوا التتار والصليبيين كانوا يحلون فى أيديهم نسخاً من «سيرة الظاهر بيبرس» (٢٤).

ثامناً: نجاح حركات الفتوة فى تحقيق الكثير من أحلام الشعوب بإقامة «جمهوريات شعبية»، لكنها كانت قصيرة العمر نظراً لجبروت الحكومات العسكرية المتسلطة من ناحية، وعدم نضج النشاط الثورى نتيجة انضمام الطبقة الوسطى للسلطة من ناحية أخرى.

تاسعاً: وحدة صيرورة التاريخ الإسلامى سواء فى طبيعة السلطة أو فى صور المعارضة، بما يحض النزعات الإقليمية والنعرات العنصرية والطائفية كتفسير رسمى لهذا التاريخ. عاشراً: تقدم السيرة - أخيراً - درساً مهماً عن روح المقاومة وأساليبها، فضلاً عن غاياتها القريبة وأهدافها البعيدة. كما تقدم تصوراً دقيقاً لمكاند النظم الحاكمة الجائرة وتواطئها مع العدو الخارجى.

وهو درس قيمى بأن يعيه المناضلون المعاصرون حيث يمر العالم الإسلامى بمرحلة حرجية نتيجة تسلط النظم الحاكمة من جهة، وتعاظم الخطر الأجنبى من جهة أخرى.



البibliوغرافيا والتوثيق

- ١) أنظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص ١٩٠، الدار البيضاء ١٩٦٤.
- ٢) الطرطوشى: سراج الملوك، ص ١٢٥، القاهرة ١٣١٩هـ.
- ٣) رسائل إخوان الصفا، ج١، ص ٤٨، بيروت، دت.
- ٤) الطرطوشى: المصدر السابق، ص ٥٦.
- ٥) المقرئ: نفح الطيب، ج٣، ص ١٥٦، بيروت ١٩٦٨.
- ٦) أنظر: على زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، ص ١٦٩، بيروت ١٩٤٨.
- ٧) محمد الجوهري: علم الفلكلور، ص ١٩، القاهرة ١٩٨٧.
- ٨) يعزى الفضل إلى المرحوم الدكتور عبد الحميد يونس فى تخصيص كرسى للأستاذية فى الأدب الشعبى بكلية الآداب، جامعة القاهرة، حول هذا التاريخ.
- ٩) محمد رجب النجار: التراث القصصى فى الأدب العربى، ص ٢٢٩، الكويت ١٩٩٥.

- (١٠) الطرطوشي: الحوادث والبدع، ص ٧٢، تونس ١٩٥٩.
- (١١) ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ج ٥، ص ٢١، بيروت ١٩٦٥، أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، ج ٢، ص ١٣، بيروت ١٩٥٣.
- (١٢) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢، ص ٢٣٤، بيروت ١٩٨٥.
- (١٣) محمد رجب النجار: حكايات الشطار والعيارين في التاريخ العربي، ص ٩، الكويت ١٩٨١.
- (١٤) نفسه، ص ٦٣.
- (١٥) محمد رجب النجار: التراث القصصي، ص ٢٥٧.
- (١٦) عن مزيد من المعلومات، راجع: محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ، الإسلامي، ص ١٩٠ وما بعدها، القاهرة ٢٠٠٥.
- (١٧) محمد رجب النجار: حكايات ص ٢١٨.
- (١٨) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج ٢، مجلد ٢ ص ١٤٢، القاهرة ٢٠٠٠.
- (١٨) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج ٣، مجلد ٢ ص ١٤٢، القاهرة ٢٠٠٠.
- (١٩) محمد رجب النجار: التراث القصصي، ص ٢٦١، ٢٦٦، محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، ص ١٤٢.
- (٢٠) نفسه، ص ١٤٣.
- (٢١) عن مزيد من المعلومات، راجع: محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي.
- (٢٢) عن مزيد من التحليل التاريخي والأدبي، راجع: محمد رجب النجار: حكايات، ص ٣١٩ - ٣٢٣.
- (٢٣) اعتمدنا في ذلك على تلخيص أكثر طولاً للمرحوم الصديق / محمد رجب النجار. راجع: حكايات العيارين والشطار، ص ٣١٩ - ٣٤٣.
- (٢٤) محمود رجب النجار: التراث القصصي، ص ٢٢٨.

الدليوان الصغير

أمجاد القديس شارون

إريش فريد



ترجمة وتقديم: يسرى خميس
رؤية ورسوم: محمود الهندي

عقب قراءة تلك النصوص «امجاد القديس شارون» التي صاغها بالألمانية الشاعر اليهودي إريش فريد، وترجمها للعربية الشاعر يسرى خميس. وجدتني أتجه نحو حبرة الحبر الصيني لعمل الرسوم، وإذا بعيني تنهمر، ولا تهدأ الدموع، فقد تذكرت صديقي الفنان هبة عنايت الذي أهداني المحبرة والحبرة ومجموعة من الريش، أحضرها جميعاً من الصين، وتجسد في جلسة الرسم ليجالسني، ويشارك صديقه يسرى خميس، لم يمنعه الموت عن المشاركة في قضايا الوطن. وها نحن معاً نتقدم إلى قارئ «أدب ونقد» بتلك القصائد المباشرة، والمتفجرة بشحنات الصدق، ترفض وتدين الممارسات الصهيونية الإسرائيلية، وتسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية دون تلاعب بالفاظ ولا موارد. أما هؤلاء الفنانين الذين انبثروا للدفاع عن الكيان الصهيوني وما يسمونه بالسلام الاستسلامي من العرب والمصريين، فليسوا أكثر من خدم ماجورين للنازيين الجدد في إسرائيل وأمريكا. وهم لا يخلجون من أنفسهم، ولا يحسون أو يشعرون بغلظة جلودهم، وإنما يتحسسون جيوبهم المنتفخة بأوراق البنكنوت الأجنبية وتأثيرات السفر، ويتشدقون بتصاعد رصيدهم في البنوك المختلفة.

فحبة للفنان هبة عنايت الذي أثر أن يشاركنا همومنا الوطنية، متحدياً الموت ومتجاوزاً المسافات.

محمود الهندي

أمجاد القديس شارون

بههدف التذكير بأمجاد القديس الجنرال «أريل شارون» أو البولدوزر (كما يسمويه الصهاينة) وهو فى غرفة الانعاش لفترة طالت، والصلاة من أجله والدعاء له بالشفاء كما طلب وزير الخارجية البريطانى (جاك سترو) من اللبنانيين فى زيارة رسمية له ببيروت، حتى يظل الوضع آمنا والسلام مستقرا كما نراه يوميا، وحتى لا ننسى بعض أمجاد الرجل التاريخية:

● مجزرة قبية ١٩٥٣

● ممر متلا ١٩٥٦

● احتلال قطاع غزة ١٩٧١

● تهريب الفلاشا من السودان إلى إسرائيل ١٩٨٢

● بناء الجدار العازل ٢٠٠٠

● إعادة احتلال الضفة الغربية ٢٠٠٢

● مجزرة جنين ٢٠٠٢

● اغتيال الشيخ أحمد ياسين ٢٠٠٤

تلك الامجاد التى حولت (مجرم الحرب إلى قديس) كما يقول الصحفى الفرنسى الكبير دومينيك فيدال وجعلت جورج دبليو بوش رئيس الامبراطورية الأمريكية الوهمية يطلق عليه لقب: «رجل السلام - شارون» فأصبح بطل الحرب والسلام!!

فلقد شارك فى جميع الحروب التى قامت بها إسرائيل وهو الذى أكد فى مقولته الشهيرة «إن حرب الاستقلال لما تنته بعد ولم تكن حرب عام ١٩٤٨ سوى الفصل الأول، فكل متر نكسبه متر يضاف إلى إسرائيل ولسوف تتواصل الحرب ما دامت المعارك لم تنتج امتلاك الأرض الإسرائيلية» ومازلنا نذكر أنه منذ أن تولى الجنرال شارون قيادة الكيان الصهيونى رسميا وهو يمارس هو ورجاله القتل اليومى المباشر والغادر ضد الشعب الفلسطينى، كانت نروتها اغتيال الرمز العظيم الشيخ أحمد ياسين! ويتشدد طول الوقت عن السلام والدفاع عن النفس، وما هو خليفته ايهود أولمرت يواصل السير على نفس الدرب بشكل أكثر شراسة وأحط قسوة - لكل ذلك

ولأسباب أخرى، ننشر مجموعة القصائد تلك للشاعر النمساوي إريش فريد.
إريش فريد (١٩٢١ - ١٩٨٨) لربما أمكننا لحد ما مواجهة تلك (اللامبالاة الهائلة)
التي تلف العالم حولنا، وحتى يكون الفن (آلة الحفر) التي تستخرج (عدم الاكتراث)
هذا، كما يقول الناقد جان هوت.
يقول الشاعر إريش فريد:

«لم أكن صهيونيا قط، كنت متدينا لفترة قصيرة أثناء طفولتي، كما أن انتمائي للغة
الألمانية يحد من مجال تأثيري، لكن قدر اليهود يهمني ولاشك. أمل أن أكون يهوديا
أفضل خارج الفهم المتعصب لليهودية، وخارج الشوفينية الإسرائيلية، أن أكون يهوديا
خارج ذلك، أفضل من أكون متعصبا أو صهيونيا، بصرف النظر عن دوافعهم
وأغراضهم، فهم في الحقيقة يدفعون بجموع اليهود إلى وضع كارثي في دولة إسرائيل
الحالية.

إنني أعتبر هذه الأشعار بمثابة تحذير ضد الأساليب الخاطئة وضد الكثير من
العلومات المضللة، هذه الأشعار موجهة ضد الظلم الذي يمارس تجاه الفلسطينيين،
كما أنها موجهة بالأساس ضد الصهيونية.

لقد كتبت أغلب هذه القصائد قبل ١٩٧٢، وصادفت الكثير من الصعوبات في نشرها
مما يعكس بشكل ما، الدور الذي تقوم به هذه الأشعار في كشف الزيف ومحاربه مرة
ثانية، أريد أن أؤكد أن موقفي تجاه الفلسطينيين لم يتغير (إريش فريد-١٩٨٣).

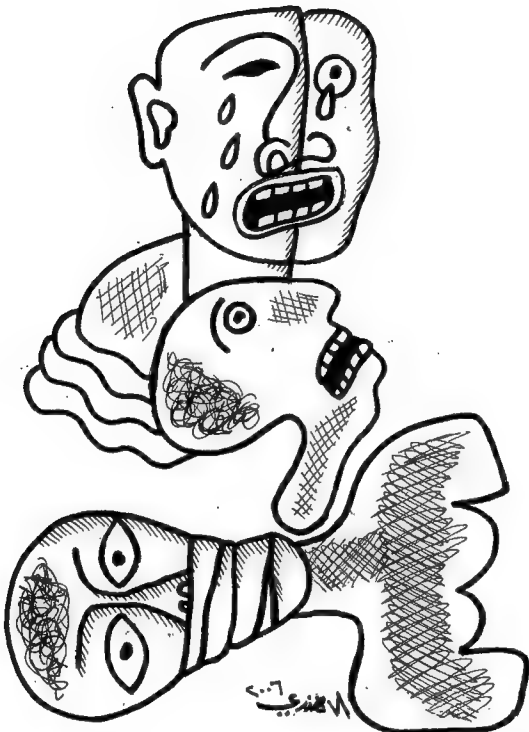
هكذا ظل إريش فريد (الذي اضطر للهجرة إلى إنجلترا وهو في شبابه، بعد الغزو
النازي للنمسا واضطهاد أسرته اليهودية وقتل أبيه على يد الجستابو، وعاش في لندن
ككاتب حر منذ عام ١٩٤٦ حتى آخر أيامه- ظل في أشعاره التي تجاوزت الثلاثين
مجموعة شعرية، متسقاً مع شعره/ مع نفسه تماماً، فلقد كان مشاركاً نشطاً في العمل
السياسي المباشر، من إلقاء المحاضرات التحريضية، إلى المشاركة في المظاهرات، إلى
التوقيع على بيانات المعارضة، كما كان عضواً في (محكمة راسل) التي قامت بمحاكمة
ليندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك، وآين والصهيونية كفكرة
عنصرية غير إنسانية، مدينة بحدّة ما تفعله المؤسسة العسكرية الصهيونية ضد الشعب

الفلسطيني ، فاضحا دور الكيان الصهيوني كدور تابع بلطجي لخدمة الرأسمالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بهدف تحقيق الحلم الأمريكي بالامبراطورية الجديدة.

أواجه موقف ذلك الشاعر بما كتبه شاعر مصري صديق عام ٢٠٠٤ فأسهب عن «ذلك الملمح الكوزموبوليتاني في الشعر الذي يبرز جوهر الإنسان لا عرضه، من حيث كونه (إنسانا كونيا) بغض النظر عن الجغرافيا والتاريخ، وبغض النظر عن الوطن والطبقات والهويات القومية الضيقة، فالإنسان هو الإنسان مهما كان لونه أو جنسه أو دينه أو وطنه أو دمه أو عقيدته السياسية. ملمح كوزموبوليتاني تجعله مهماً في السماء متعالياً عن الأرض الملوثة بالخطيئة والصواب لكن التوجه الثاقب إلى (الجوهر المشترك الباقي) الجوهر بين الإنسان والإنسان في كل زمان ومكان، كل ذلك يمنع هذا الملمح إنسانية أرحب ونغمة لا تزول، وفي هذا الملمح يخفت الضجيج وتذوب التقديرات الساخنة ليصير النص لمسة رقيقة من الحنين والحنان: أي لمسة من الشعر»!!!

كما أواجهه مرة أخرى بما أعلنته مجموعة شعراء عرب مغاوية في أوروبا عام ٢٠٠٢ (إننا - هم وحدهم وليس نحن! - نقف إلى جانب الدفاع عن السلم والصدقة والحرية في العالم، وهو ما يعطينا حجة أن نكتب النشيد الإنساني، والدفاع عن القيم الحضارية العليا وعن صفاء معنى الكلمات في جميع جهات الأرض، فلا فرق بين شعب وآخر ولا بين لغة وأخرى ولا بين حضارة وأخرى ولا بين دين وآخر، فالشعراء قبيلة واحدة، وهم يسهرون على وهج الكلمات ويحظون بمشروعية التعبير عن القيم الإنسانية الخالدة، أن الشعراء هم أبناء لغة الصفاء فحقيقة الشعر هي صيرورة الرحيل نحو صفاء معنى الكلمات)!!!!!!!

إلى هذا الحد يمكن للشاعر/ للوعي/ للإدراك أن يحرز حتى من المقولات التي تقترب من المقدسات التي لا تناقش كثيراً على مدى التاريخ الإنساني كالدين والجماعة والأسطورة... إلخ إلى هذا الحد يمكن أن يسمو الشعر بالشاعر والشاعر بالشعر ويتعالى كلاهما في اتجاه الحق والعدل، كما يمكن أن يكون الشعر في الوقت نفسه مضللاً ومزيفاً وسانجاً وتافهاً ومتحيزاً ومفتعلاً، بل وكاذباً غير مسئول.



إلى هذا الحد يعم الالتباس.

وعند هذا الحد أتوقف، مذكرا بما قاله الفيلسوف الكبير جادامر أنه «لا يمكن أن نفهم إلا من خلال انخيازاتنا، أي مشروطيتنا التاريخية والثقافية، وليس من خلال نزعها عنا».

يسرى خميس

بعض مما حدث

حوادث،

أماكن

سنوات

دير ياسين ١٩٤٨

قرية فلسطينية

قتل فيها ٣٥٠ فلسطيني

٢٥٤ فقط،

تبعاً للتصريحات الإسرائيلية

قبية في ١٤/١٠/١٩٥٣

نسفت القرية بكاملها

نساء، وأطفالاً، ورجالاً

انتقاماً لامرأة يهودية وطفليها

قتلوا في يهودا

بعد أن طلبت السلطات الأردنية

ومعهم جلوب باشا

المساعدة من إسرائيل

في البحث عن الفاعل

فكان ما حدث

هكذا

كانت مساعدة إسرائيل

كفر قاسم ١٩٥٦

صدر الأمر بحظر التجول

في منتصف نهار اليوم

كان الفلاحون مازالوا في حقولهم

لم يعلموا بعد

بقرار حظر التجول

أثناء عودتهم إلي دورهم

استوقفوا

صفوا بموازرة الحائط

٥٦ فرداً

كانوا في حاجة

لكمية كبيرة من الطلقات

بحر البقر ١٩٧٠

كانت مدرسة كبيرة

مكتظة بالأطفال

كانت الوحيدة في المنطقة

هدف نموذجي للقنابل

لم يكن يعرف أحد بالضبط

كم عدد الأطفال

بعد القصف

لم يكن هناك أطفال كثيرون

في منطقة بحر البقر

وفي أبو زعبل ١٩٧٠

٧٠ عاملاً في طلعة طيران

وفي نهر البارد ١٩٧٢

أطفال قتلي مرة ثانية

في مخيمات اللاجئين

وفي الطريق إلي جوافيه ١٩٧٢

بجنوب لبنان

سيارة أجرة مهشمة

هرستها دبابة إسرائيلية

سبعة مدنيين

بينهم طفل في الثامنة من العمر

حوادث

كل ذلك مجرد حوادث

أما ما يفعله الفلسطينيون

فهو الإرهاب بعينه!

عن الوحدة ١٠١

غير قابل للتصديق

أن تعبر الوحدة ١٠١ الإسرائيلية

حدود إسرائيل

وتقتل أطفال ونساء ورجال العرب

غير قابل للتصديق

أن طلبة كلية الطب في إسرائيل

كانوا يأخذون جثث القتلى

من الوحدة ١٠١

لدراسة التشريح عليهم

بعد أن فشلوا في إقناع الحاخامات

غير قابل للتصديق

أن الضابط الأردني

الذي اعترفوا بقتله

لم يكن سوى طبيب لبناني

(الدكتور منصور)

وهو في طريقه لزيارة مريض

وأنه قد توسل

لكل من ماير وشلوموخ

الا يقتلاه

إدعي الجيش

بأنه لم يكن يعرف شيئاً

عن الوحدة ١٠١

بالرغم من أن الوحدة

كانت تبذل القيادة رسمياً

عن كل تحركاتها

وخط سيرها بدقة

حتى لا يطلق الجنود عليهم

النيران خطأ

عند العودة

● الفرقة ١٠١: فرقة خاصة من فرق

الجيش الإسرائيلي لا ترتدي الزي

العسكري، قامت بمذبحة قرية قبية في

١٤ أكتوبر ١٩٥٣ بقيادة شارون.

● مايرهار صهيون وشلوموخ باوم:

كانا أيضاً عضوين بارزين في تلك

الوحدة رقي باوم إلى رتبة جنرال في

حرب لبنان ١٩٨٢/٨٣، وأعطى مار

صهيون مزرعة مكافأة له، وكانوا

يرسلون إليه - في تلك المزرعة - أطفال

المدارس لسنوات «حتى يتعلموا على

يديه فنون الحرب والعنف».

تصحیح

أرسل لي أحدهم

رسالة يقول فيها:

«أنني ككاتب

يجب ألا أسمى بيجين ورفاقه

بالقتلة»

فأنا يهودي

وأعرف جيداً

كيف أضح الألفاظ في مكانها

ويجب علي أن أقول:

«أنني أري

أن الوصف وصف غير عادل»

فكرت فيما قيل:

فعلاً، لقد تعرفت ككاتب

علي قتلة عديدين في السجون،

مانوا يقتلون دائماً بدافع الغيرة،

أو بدافع الانتقام

وغالباً، نتيجة اضطراب عنيف مفاجئ

في توازنهم الروحي والعقلي

والقليل القليل منهم

من قام بقتل أكثر من فرد

وأغلبهم كان يعاني بعدها

من الندم وتائب الضمير

وككاتب يعرف

كيف يضع الألفاظ في مكانها

وكيهودي يحسه الموضوع بشكل مباشر

أري أنني أخطأت فعلاً

وأن التعبير غير دقيق كما ينبغي

عندما سميت هؤلاء (قتلة)

ومن الآن فصاعداً

لن أسمى بيجين ووزيره شامير

وجنرالاته شارون أو إيتان أو باوم

(ومن يقف وراءهم

من اليهود وغير اليهود

الذين لا يعيشون في إسرائيل

بل غالبيتهم هناك غرب المحيط)

لن أسميهم (قتلة)

بل

سأسميهم (سفاحون)

يمارسون (القتل الجماعي)

عن إسرائيل وحرب لبنان

البعض يهاجمني ويقول:

«نعترف

بأن ما فعله بيجين

وما فعله شارون

شئ فظيع

لكننا كيهود

يجب أن يكون نقدنا

بيننا وبين بعضنا

وليس للعرض علي الآخرين».

أرد عليهم قائلاً:

«يمكنني أن أتقهم ذلك

وأوافق عليه

لو أنكم استخدمتم

قنابلكم الانتشارية

وطلقات مدافعكم

وفوسفورك، الحارق

بيننا وبين بعضنا فقط

وليس بين الآخرين».

عند تشخيص

بيجين

أو شارون

الجرافات

الجرافات في إسرائيل

أثبتت تضامنها

مع الجرافات الإسرائيلية في بيروت

وهي تقوم بهرس

وخلط جنث الفلسطينيين

مع حطام مخيماتهم

أعلن أن الجرافات

دمرت بعض قبور

قتلي دير ياسين

وسط إسرائيل

قالوا:

«دون قصد»

«علي سبيل الخطأ

أثناء عمليات القتل»

كذلك كان قتل الفلسطينيين

في صبرا وشاتيلا

أيضا علي سبيل الخطأ

أثناء

عمليات بناء

تشخيص

يسمونه

في مستشفيات بيروت

«العرض»

هذا يعني

أن أفواه النساء والأطفال

الذين كانوا مازالوا أحياء

كانت تظل تنفث الدخان

عندما يتنفسون

ذلك لأن فوسفور القنابل الفوسفورية

قد نهش الجلد واللحم

ووصل حتي نسيج الرئة

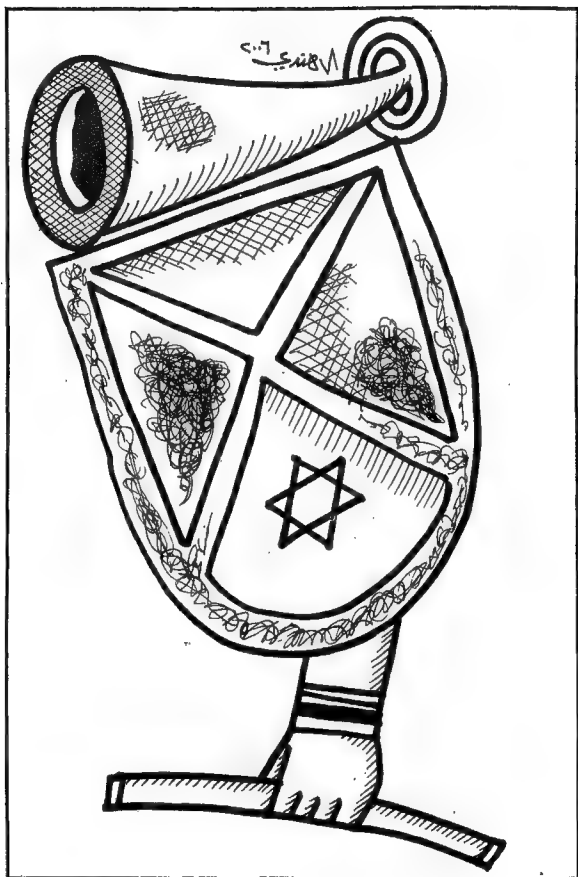
التي مازالت تحترق

وتطلق الدخان

(حتي بعد الموت).

هذا العرض

يجب علي المرء ألا يغفله



الأمبراطورية الصهيونية

● مذبحه دير ياسين ١٩٤٨: بقيادة
بيجين، تم فيها قتل أكثر من ٢٥٠
شخصاً، نساء وأطفالاً، ورجال
فلسطينيين.

● مجزرة صبرا وشاتيلا: بقيادة
شارون، وقد تم نسف المخيمات تماماً
بما فيها من فلسطينيين.

التي جاءت من الجنوب
وهم يضعون علي صدورهم
شجرة الأرز
لمساعدة شارون

(٢)

تم التنسيق بين أفراد الكتائب
والضباط الإسرائيليين
وميليشيات حداد
وأعطيت الأوامر للجثث

مجزرة صبرا وشاتيلا

(١)

من الضروري
أن نتخلص من الزبالة والنفايات
التي تملأ قلوب وعقول الناس
بأوروبا وأمريكا
مثلاً تخلصوا من نفايات وبقايا
جثث النساء والأطفال والعجائز
من اللاجئين الفلسطينيين
بمخيمي صابرا وشاتيلا في بيروت
كانت الفصائل العسكرية الإسرائيلية
تشارك يداً بيد

بصرف النظر عن من الذي أعطاهما
أن يقفوا في صفوف منتظمة
ثم أطلقوا الرصاص عليهم.
المجموعة تلو الأخرى
عشرات أو أكثر
من النساء والأطفال والرجال
دون تمييز
وقاموا بالتمثيل بجثث البعض
بعد القتل
أو قبله
أما الذين حاولوا الهرب
فقد أطلقوا عليهم الرصاص

(٣)

هكذا قتلوا آلاف البشر
والقوا بالجثث في سيارات النقل
وذهبوا بها بعيداً

كما أكدت التصريحات الإسرائيلية
حرفياً
مع الكتائب المسيحية اللبنانية
ومع ميليشيات حداد

«ألا يعلم البابا
أن فلسطينيين يقتلون
هم أيضاً المسيحيين؟»

(٥)

ويمنطق بيجين هذا
لا يجوز قتل هنلر
ولا رجاله القتل
ولا بافيليتش ورجاله
من منظمة أوستاشي العنصرية بكرواتيا
الذين كانوا يقلعون عيون ضحاياهم
قبل قتلهم
ثم يقومون بعد ذلك بتعميدهم
ويلقون بهم في الهاوية
كانوا هم أيضاً مسيحيين مخلصين

(٦)

لم يشارك الجند الإسرائيليون
في هذه المجازر
هكذا قالوا
لكنهم وقفوا يشاهدون بما يحدث
بالقرب من المخيمات
وتركوا للكاتب وحدها
مهمة «إعادة النظام»
بينما قاموا فقط بمساعدتهم لحد ما
بواسطة الجرافات
التي قامت بالتخلص من جثث القتلى
وقد أثبتت التحقيقات الإسرائيلية نفسها

جثث أخري هرست بالجرافات
وخلطت مع نفايات وبقايا المخيمات
وربما تذكرت تلك الفصائل المسيحية
الواجب المسيحي
بضرورة دفن الموتى

نقول: ربما
لأن هذا لم يحدث
من الثابت،
أن الجرافات كانت جرافات إسرائيلية
قام بتجهيزها الجنرال شارون
وربما كان يقودها إسرائيليون
ومن الثابت أيضاً أن الجرافات
جاءت بعد أن انتهت عملية القتل
وأنهم دفنوا بعض القتلى
لا يمكن التأكد من الذي حفز القبور
لكن المؤكد هو أن تلك الفصائل
قد قامت إسرائيل بتسليحها
وتدريبها، ودفع مرتباتها
وقد أحضرها شارون معه
أثناء احتلاله لبيروت
للقيام - خصيصاً - بهذه المجزرة

(٤)

هؤلاء كانوا المسيحيين الحقيقيين
الذين تكلم عنهم مناحم بيجين
عندما عاتب الباب
لأنه استقبل ياسر عرفات
وتساعل بيجين:

أن قادة الكتائب

كانوا يدبرون عمليات القتل
من فوق أسطح الدور المجاورة
التي كان يتمركز فيها
الجند الإسرائيليون
وأن الضباط الإسرائيليين
كانوا يقفون بجوارهم
يشاهدون عن بعد
عمليات القتل بمناظيرهم المقربة
ويستمعون بأجهزة تنصتهم
إلى الحوار الدائر
بين جنود الكتائب في المخيمات
وقادتهم فوق الأسطح
ويقفهمون

(٧)

ولنفترض أنه قد كتب علي كل القتلي
بقنابل الفوسفور
والقتابل المسمارية في بيروت
وعلي قتلي صبرا وشاتيلا
وعلي الفلاحين القتلي بالسلفادور
وفي نيكارا جوا أيام سوموزا
كما كتب علي قبورهم
من أين جاءت تلك الأسلحة
التي قتلوا بها
كم من مرة سنقرأ مكتوباً عليها

Made in Israel

أو Made in U.S.A

(٨)

وأسلحة من دول أخرى كذلك
تقوم بخطأ فادح في هذا العالم
تعييس هو ذلك الزمن
الذي يكون فيه التعامل
بين البشر بالسلح
تلك الأسلحة التي تسببت
في إراقة الكثير من الدم
دم برئ
ودم أكثر براءة
الجميع مذنبون
حقيقة يعلمها الجميع
لكنها تحولت إلي
جملة إنشائية

لا تفرق بين الذنب البسيط

والذنب الفظيع

(هكذا يدافع القتلة عن أنفسهم!)

ولا يخفون أيديهم

التي يتصاعد منها دخان الدم الطازج

أو الدم المتجلط حديثاً

وتشير بأصابعها الملطخة بالدم المتجلط

علي أياد أخرى

حيث يمكنهم القول:

«لم تكن بريئة تلك الأيادي أيضاً»

(٩)

هناك إسرائيليون ينكرون كل ذلك

أو يقولون:



في شوارع إسرائيل.
ضد هذه المجزرة
والقي عليهم رجال بيجين
القنابل اليدوية
فقتلت البعض
وجرحت كثيرين
بينما كان رجال بيجين يصرخون فيهم:
«نعمل منكم صبرا وشاتيلا أخرى!».

(١٠)

أصبح من الضروري
مثلما كنست نفايات ويقايا
جثث القتلى الفلسطينيين
التي انكشفت في صابرا وشاتيلا
أن تكنس الزبالاة والنفايات
التي تملأ عقول وقلوب الناس
في أوربا وأمريكا
نفايات ويقايا الاكاذيب القديمة
والاحكام المسبقة
التي قامت بسحقها
الحقيقة القاسية
حتى يمكن أخيراً كنس القتل
والذين يقفون وراءهم
بصرف النظر
عن مواقعهم أو مناصبهم
سواء كانوا مسيحيين أو يهود
وبعض المسلمين أيضاً
الذين يساعدون هؤلاء القتل.

لقد طلب جنودنا
دخول فصائل الكتائب إلى المخيمات
لاستبعاد الإرهابيين الفلسطينيين
والإرهابيين اللبنانيين
لهذا السبب وحده
قمنا بتغطيتهم بدباباتنا
أما نحن
فلم نطأ أقدامنا المخيمات
أو يقولون:

عندما لاحظنا

أنهم يفقدون السيطرة على الموقف
حاولنا أن نوقفهم
وصحنا عليهم بمكبرات الصوت
لكنهم كانوا قد أجهزوا بالفعل
علي عدة مئات
وهكذا تم إنقاذ الكثيرين
بمجيئنا إلى بيروت
هذه المبررات يقدمونها
كإجابات على الأسئلة التي توجه إليهم
من الصعب ألا تعقد المقارنة
بين هؤلاء الذين يتحدثون
بتلك اللهجة
وبين آخرين في زمن مختلف
في بلد آخر
قاموا بإنكار ما فعلوه
أو حاولوا التقليل من شأنه
إسرائيليون آخرون
قاموا بتنظيم مظاهرات

محمد مندور وقضية فلسطين

د. إيمان السعيد جلال

كتب محمد مندور في أعقاب حرب ١٩٤٨ مقال «لن نقبل الركود لقضية فلسطين» (١). يقول: «لقد تنفس العرب الصعداء عندما تحركت الجيوش العربية في ١٥ مايو الماضي للقضاء على عصابات الصهيونيين، وتخليص العرب من أاثامها، والمحافظة على فلسطين الشهيدة قطراً عربياً موحداً، وبخاصة إذا ذكرنا أن كبج جماح الصهيونيين لن ينقذ فلسطين وحدها منهم، بل سينقذ البلاد العربية كلها، إذ إنهم كالسرطان الذي يخشى أن يتشعب في جميع الجهات، وأن ينفث سمومه في جميع الاقطار العربية حتى ليصبح القول بأن كل عربي إنما خفّ للدفاع عن نفسه عندما أرسل جيوشه إلى القطر الشقيق».

وتحدث عن قرار تقسيم فلسطين من منظور عبث الدول الكبرى بالبلدان العربية ومصائرها في مقال: «عبث الدول الكبرى يرسم للعالم العربي سياسته الخارجية» (٢) يقول: «أخذت أمريكا تناصر الصهيونيين بكافة السبل حتى انتهى بها الأمر إلى استخدام نفوذها الضخم لتحصل في تلك الجلسة التاريخية الخطيرة، جلسة ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ على ذلك القرار الظالم العجيب، قرار تقسيم فلسطين، وشأت روسيا فيما يبدو أن تفسد على أمريكا خططها في كسب الصهيونيين المنبئين في العالم أجمع إلى جوارها، فقالت هي الأخرى بالتقسيم، بل وتحمسست له فوق تحمس أمريكا وصمد العالم العربي للقرار الجائر، وادّهش تلك الدول الكبرى المتغطرسة الظالمة

بقاومته بالسلاح والنار، لذلك المشروع الأثم حتى أعلنت لجنة فلسطين نفسها استحالة تنعيذه، وذلك ما لم ترسل الدول قوات حربية تنفذ هذا المشروع بالقوة ولما كان من المتوقع في حالة ارسال مثل تلك القوات أن يكون للروس فيها جند، فإن أمريكا - فيما يبدو - قد أخذها الهلع هي ومعسكرها، فبادرت إلى العدول عن تأييد مشروع التقسيم واقترحرت رد الموضوع كله إلى الجمعية العمومية .

وهكذا يتضح أن المناورات قد كانت الحافز الأول لموقف تلك الدول من مشكلة فلسطين، وأن الأمر لا يعدو معركة تدور بينها لكسب أنصار ومناطق نفوذ . وأما مبادئ الحق والعدل وما إلى ذلك، فتلك أشياء قد ماتت، إن كانت قد عاشت على الإطلاق في أى يوم من الأيام .

(٧) المحالفة العسكرية والدفاع المشترك

شعر محمد مندور بالتقارب بين الإنجليز والفرنسيين في توجهاتهما الاستعمارية عند قرب انتهاء الحرب، وظهر هذا التقارب في ميلهما إلى تطويق البلاد العربية كلها في محالفة عسكرية سياسية واقتصادية، لا تزيد في آخر الأمر عن كونها شكلاً استعماريًا جديدًا . وكانت بريطانيا تهدف إلى عقد محالفة عسكرية مع مصر، تضمن لها أن تتخذ منها قاعدة عسكرية للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط، زاعمة أنها تحميه من الخطر السوفييتي الذي يهدد سلامة المنطقة

كتب مندور منبهاً إلى هذا المخطط الاستعماري الجديد . يقول في مقال: «سياسة الاستعمار» (٢) . «وهذه هي السياسة التي أخشى أن تكون قد بينت بالفعل، وهي ترمي إلى أن تحمل البلاد العربية على قبول الجيوش الأجنبية ببلادنا، وبيعوا الأموال الأجنبية أيضاً حتى يكون الاستعمار سياسياً واقتصادياً معاً، وهم يريدون أن يكون هذا البقاء بقبول منا، وذلك بتأييدهم لما نبغى من وحدة، حتى إذا تمت، عقدوا محالفة عسكرية مع العالم العربي كله، وعززوا هذا التحالف باتفاقات خاصة بينهم وبين دولنا لإنشاء قواعد جوية وبحرية وعسكرية مشتركة بينهم كما ينظمون استغلال ممالكنا اقتصادياً بواسطة مجلس اقتصادي يريدون إنشاؤه» .

وكتب يوضح المخطط الاستعماري البريطاني لاستمرار السيطرة على مصر تحت اسم الدفاع المشترك، في مقال عنوانه «هل يصل الإنجليز إلى ما يريدون» (٤) . «وها هم الإنجليز قد تبادوا في سخريتهم منا، وبلغ بهم الخبث الاستعماري أن اخترعوا مجلساً مشتركاً للدفاع، تواترت الأنباء لسوء الحظ أن الحكومة المصرية الحالية، ومعها نفر من المفوضين قد قبلوا مبداه، وراح رئيس الوزراء، ورئيس المفوضين يهون من خطره الداهم، أما بالقول بأنه استثنائي، وإما بمحاولة ربطه بنظام الأمن الإقليمي أو بقياسه باتفاق كندا والولايات المتحدة، وكل هذه حجج باطلة كما أوضحنا نحن، ووضع غيرنا من رجال السياسة والقلم، فالاستشارة عرفنا من سنين أن معناها عند الانحياز الإملاء . وأما ربط هذا المجلس الذي

سيتحكم في جيشنا وفي كافة مرافقنا وطرق مواصلاتنا وموانينا ومطاراتنا بصفة دائمة، كما قال رئيس الوزراء نفسه، فامر واضح البطلان وليس مصر مجاورة لإنجلترا، ولا مكافئة لها، ولا طليقة من سيطرتها الاستعمارية كما هو الحال بين كندا والولايات المتحدة، ولقد كان في خلق مجلس الأمن ما كفى ويكفى عن مثل هذه الاتفاقات، والتي لا علاقة لها بإطلاقا بدعوى المحافظة على الأمن والسلام الدوليين.

(٨) القوى الدولية الجديدة

وهي القوى الصاعدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية فقد خرجت الإمبراطورية البريطانية من الحرب وقد تفوقت عليها قوتان عظيمتان وقد أكد مندور في مقالاته أن الشرق العربي لن يستبدل سيدياً بسيد، أى أنه لن يستبدل الاستعمار السوفييتي بالاستعمار الإنجليزي أو الأمريكي. ويبين نمو الوعي السياسى المصرى والعربى، بما جعل العرب جميعاً يرفضون الاستعمار أيّاً كانت وجهته.. يقول فى مقال: «الشرق الأوسط بين روسيا وإنجلترا» (٥): «الجنس العربى كله لم يعد يطيق صبراً على الاستعمار، أيّاً كان المستعمر وهو بلا أدنى ريب لا يريد أن يستبدل سيدياً بسيد، وإنما يريد أن يتحرر، لأنه يعتقد أنه وصل من الوعي السياسى والتقدم المادى إلى مرحلة لا يمكن أن يستمر معها استعمارها».

ويؤكد مندور أن الشرق العربى - ومعه مصر - يريد فى إطار هذا الوعي أن يستعين بالاتحاد السوفييتى، وأن يفيد من تأييده لقضاياها دون أن يعنى ذلك وقوعه تحت سيطرته: «من الطبيعى أن يستمع العالم العربى بسرور إلى معاضدة روسيا لقضاياها الوطنية، وليس يعنيه بعد ذلك أن تكون روسيا مدفوعة إلى ذلك بدافع أنانى أو إنسانى، وهو يدرك تمام الإدراك أن البشرية ليست بها ملانكة، وأن المنفعة لابد أن تمازج كل شعور، وأن تنازع البقاء وتصارع القوى جبهة ثابتة فى البشر».



ثانياً: القضايا الاقتصادية والاجتماعية

نشر محمد مندور عقب عودته من فرنسا مقالات عدة فى مجلة الثقافة، اتجه فيها إلى عرض أفكار كلية، وربط بين مشكلات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر ريباً وثيقاً كما فعل فى مقال: دستور الإصلاح، بؤسنا المادى ١٠/٢١/١٩٤١. ومقال: الثقافة والديمقراطية الاجتماعية ١١/٢/١٩٤٢ ثم قام بعد ذلك ببسط هذه الأفكار المترابطة المتداخلة حينما أتاحت له فرصة رئاسة تحرير المصرى، والوفد المصرى والبحث وصوت الأمة.

وإذا كانت الشهور الثلاثة التى قضاها فى رئاسة تحرير «المصرى» غير كافية لعرض أفكاره الإصلاحية فى السياسة والاقتصاد والاجتماع، فإن فرصته كانت رحبة فى الصحف الأخرى

انطلق محمد مندور في تأمله الحالة الاجتماعية المتردية لطبقات الشعب الفقيرة من الحالة الاقتصادية، ومن ثم فإن الإصلاح الاجتماعي غير منفصل عن الإصلاح الاقتصادي كتب في مقال «مشكلة الفلاح» (٦) يقول: «الاساس العام لحل مشكلة الفقر في البلاد هو العدالة في تمكين الافراد من وسائل الإنتاج، وكسب كل رجل قوته اليومي بعرق جبينه».

لذلك رفض مندور إحسان الغنى على الفقير، وطالب بإعادة توزيع الثروة في مصر، وأكد أن ذلك لن يكون بتحديد الملكية الزراعية، وإعادة توزيع الأراضي فقط، بل بإعادة توزيع العقارات والمصانع والمناجم وغير ذلك.

«إن الحل الطبيعي لمشكلة الفقر في البلاد سيحتاج بلا ريب إلى استغلال أتم لمصادر ثروتنا، وتنمية لإنتاجنا العام، ولكنه أيضاً متعلق أشد التعلق بمشكلة التوزيع، ولهذا لا نستطيع إلا أن نؤيد الاقتراح الذي تقدم به الشيخ المحترم محمد بك خطاب إلى المجلس لوضع حد أعلى للملكية، كما أننا مازلنا نطالب بإتمام تشريعات العمال والفلاحين بوضع حد أدنى لأجورهم، وتنظيم وسائل التأمينات الاجتماعية التي تقيهم شر التعتل والشيخوخة والمرض وذل الإحسان.

ثم إننا قلنا ونكرر أنه لم تعد في بلاد العالم المتمدين أمم لا تأخذ اليوم نظمها المادية بمبدأ التصاعد في الضريبة غير مصر، وهذا المبدأ هو الذي سيمكن الحكومة من أن تنمي مواردها لتنهض بمرافق هذا الشعب المسكين. وثمة ضريبة التركات، وهي الضريبة الوحيدة التي تتناول رأس المال بإعادة التوزيع، لماذا لا تقرر في نسب تصاعدية كافية لإعادة توزيع الملكية في بلاد لا يستند فيها حق الملكية تاريخياً إلى كسب الإنسان وعرق جبينه

هذه هي السبل فليسلكها وليدع إليها من يريد في شجاعة حل مشكلتنا الاجتماعية. وأما الإحسان، وإطعام الإنسان لأخيه الإنسان وجبة طعام شفقة به، فذلك شعور جارج لكل إحساس إنساني، وهو خليف بأن يميت في نفوس أبناء هذا الشعب الكريم ما فيها من كرامة».

ويؤكد في مقال «الحرية الاقتصادية والحرية الاجتماعية» (٧) على ضرورة الجمع بين المشككتين الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم الجمع بين الحريتين الاقتصادية والاجتماعية «لأن مشكلة الفقر والتحرر من استعباده إنما هي مشكلة إنتاج الثروات، وتوزيعها معاً، ولن يغنى علاج الإنتاج عن ضرورة علاج التوزيع ووضع على أسس سليمة من العدل. وفي المبدأ القائل بأن لكل بحسب كفايته، ولكل كفاة بحسب ما تعمل، ما يغنى عن كافة المذاهب وهذا مبدأ أخلاقي إنساني لا يمكن إلا أن يقبله كل ضمير إنساني وكل تفكير سياسي نزيه».

«إن باستطاعة بلد من البلاد أن يقضى على الاستقلال الأجنبي، وأن ينمي موارد الثروة في بلاده، ومع ذلك لا تتحقق الحرية الاجتماعية فيه وذلك لانتفاء ما سميناه ولا تزال نسمية

بالعدالة الاجتماعية

إنه من الممكن أن نتصور بلدًا من البلاد يعج بالثروات، ومع ذلك يظل السواد الأعظم من شعبه مستعبدًا للفقر مستذلًا للعوز، وذلك لأن طريقة كسب الثروات وطريقة توزيعها بين الناس لا تستند إلى أسس عادلة: فلا العامل يحصل على ثمرة عمله، ولا الموظف يتقاضى المرتب الذي يتفق مع وضعه الاجتماعي ومسئوليته في الحياة، ولا أعباء ضريبية توزع على أسس عادلة، ولا الدولة تنهض بواجباتها العاجزة عن القيام بمطالبها لتأصل الآفات فيها».

وطالب مندور بتدخل الدولة لضمان كثير من الحقوق، وهو مبدأ عرف في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وظهر باعتباره رد فعل لمذهب الحرية في الحياة الاقتصادية. وتدخل الدولة في الحياة الاجتماعية يتيح التوازن بين الطبقات، ورعاية حقوق كل طبقة.

كتب في مقال «وظائف الدولة» (٨) يقول: «في الحياة الاجتماعية، نرى أن مصر بلغ فيها الظلم الاجتماعي حدًا كبيرًا، وإذا كان العالم كله قد سار نحو التدخل لإنصاف الطبقات المظلومة، أناأت نحن اليوم ونقول للدولة خذى بمبدأ الحرية، مبدأ سميث وريكاردو، ودعى الفرد يعمل، والتجارة تمر؟ لقد أسفرت تلك النظرية عن الحالة التي يعانيها كثير من الشعوب، وباليات القوى كان قويًا بنفسه ولكنه قوى بالوراثة، فصاحب رأس المال يستغل العامل، والمالك يستغل الفلاح والناشر يستغل الكاتب، وليس لهؤلاء إلا أن تحميمهم الدولة. لقد وضع العالم المتحضر تشاريح العمال، وهذا هو التدخل، واستخدم نظام الضرائب لتحقيق العدل الاجتماعي، وهذا هو التدخل، وأقام الهيئات تفصل بين صاحب العمل والعمال، وهذا هو التدخل. والدولة بعد لم تعد حاكمًا مستبدًا، بل أداة تنفيذ لإرادة الأمة. ثم من الذي سيضمن للفرد علاجه من المرض وقوته إذا أدركته الشيخوخة، أو العاهة أو البطالة، أتترك ذلك للشعب؟»

بقي النشاط الاقتصادي وهنا تدور المعركة... فاصحاب الديمقراطية الحرة يرون أن المنفعة الشخصية هي أهم ضامن للنجاح في الحياة الاقتصادية. والدولة كشخصية معنوية ينقصها هذا الحافز. وهم يريدون أن يتركوا الفرد ينمي في نفسه روح المبادرة، والقدرة على تحمل المسئوليات... ولكن المصلحة الفردية مصلحة أثرة مدمرة، فهناك مصلحة الأمة، ومصالح الأفراد الآخرين، فإذا تعارضت مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة أو مصلحة الفرد مع مصلحة فرد آخر من يوفق بين هذه المصالح إن لم تكن الدولة؟

انظر مثلاً إلى شركات الاحتكار كشركات الماء والكهرباء ببلادنا، ماذا يكون مصيرنا إذا لم تتدخل الدولة لحماية مصالحنا نحن المستهلكين؟».

ومن ناحية أخرى يشيد مندور باتساع فهم مواطنيه لقضايا الوطن، ونمو وعيهم بمشكلات التي لم تعد سياسية فقط، واندفاع المواطنين طلباً وعمالاً إلى ساحة النضال. كتب عند تأسيس اللجنة الوطنية للعمال والطلبة مباركاً هذا التفاعل بين فئات الشعب، وهذا الاقتحام

لقضايا الوطن المعلقة كتب في مقاله ، حدث حظير اتصال المثقفين بالعمال (٩) «في سنة ١٩١٩ كانت الحرية سياسية بحتة، فليس لها إلا هدف واحد هو إلغاء الحماية وتحقيق الاستقلال. وأما اليوم فقد أصبح من الواضح أن الحركة القائمة لا تعتبر تحقيق الاستقلال نفسه الغاية النهائية التي يقف عندها الجهاد، وذلك لأن الفرد قد أصبح يدرك إدراكاً واضحاً أنه لا خير في إلغاء الرق الخارجي إذا دام الرق الداخلي جاثماً على صدره، وأنه لا جدوى من أن يصبح الوطن عزيزاً إذا ظل الفرد ذليلاً، بل إن التخلص من الاستعمار نفسه ليس إلا وسيلة لرفع مستوى الحياة بين طبقات الشعب، وذلك بمنع الأجنبي من أن يستغل مصادر الثروة في بلادنا.

وليس بكافٍ أن ندافع عن قوتنا وقوت ابنائنا ومواطنينا ضد الأجنبي، بل لابد من أن ندافع عنه أيضاً ضد المستغلين من المصريين من الأثرياء الجشعين حتى تتحقق العدالة بين الناس، وتتاح الفرص لكافة المواهب، ويفسح المجال لكل نشاط إنساني منتج وهذا التفكير هو أقصى ما كنا نطمح فيه، والبلاد كانت بلا ريب سائرة نحو، ولكنه قد ظهر أخيراً بصعوبة واضحة، وما نظنه سيقف بعد اليوم. قبل أن يبلغ أهدافه التي تتلخص في الديمقراطية السياسية والعدالة الاجتماعية إلى جوار استقلال وادي النيل».

«والذي لا شك فيه هو أن الأمر لم يعد يحتمل تسويقاً، فجموع الأمة عاقدة العزم على تغيير الأوضاع الاجتماعية القائمة وإعادة النظر في الهوية السحيقة التي تفصل بين الغنى والبؤس في مصر»

«وإذا كانت هناك طبقة كبيرة من الأمة، وهي طبقة الفلاحين لم تدرك بعد مدى ما هي فيه من بؤس، ولا تحركت للخلاص منه فإن ذلك أمر عما قريب»

الهوامش والتعليقات

- (١) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٧/٢٦
- (٢) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٣/٢٦
- (٣) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٢/١٩
- (٤) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٦/٧/٨
- (٥) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٦/١/٧
- (٦) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٤/١١
- (٧) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٢/٤
- (٨) مجلة الثقافة، ١٩٤٤/١/١١
- (٩) مجلة البعث، ١٩٤٦/٣/١

الصفحة وقصص أخرى

إيمان عبد المؤمن

إذا كان (المشروع القومي للترجمة) مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ، ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، ويهدف إلى تقديم مختلف الإتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، معتمداً على عدة مبادئ منها الإنحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب ، كانت هذه الإطلالة الثرية على (٢١) نموذج من القصص التركية القصيرة ، لواحد من أكبر كتاب الأدب التركي المعاصر وهو (يشار كمال) في كتاب يقع في (٥٨٦) صفحة ، ضمن إصدارات لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ، تحت عنوان (الصفحة وقصص أخرى) ، وهي ترجمة عن اللغة التركية المعاصرة للدكتور .. الصفصافي أحمد القطوري ، وهو دكتور في الآداب في اللغات الشرقية وآدابها (اللغة التركية) من جامعتي إستانبول وعين شمس ١٩٧٦م ، يقوم بتدريس اللغة التركية بثقافاتها وحضاراتها في كل الجامعات المصرية والعربية ، وأستاذاً زائراً في بعض الدول الأوروبية ، شارك في العديد من المؤتمرات المتعلقة بالإمبراطورية العثمانية والثقافة والحضارة التركية الحديثة والمعاصرة ، وله العديد من الأبحاث والكتب المؤلفة والمترجمة عن الحضارة

الإسلامية والتراث التركي الإسلامي ، وكتب حول الثقافة والحضارة التركية السلجوقية والعثمانية والتركية المعاصرة ، حاز على العديد من الميداليات وشهادات التقدير والتفوق عن أبحاثه المتميزة وكان آخرها الجائزة الأولى من رابطة الأدب الإسلامي العالمية في مجال ترجمة المجموعات القصصية عام ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م ، وأستاذ متفرغ ورئيس شعبة الدراسات التركية في مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية - جامعة عين شمس - حالياً .

يكشف لنا هذا الكاتب الجاد بهذه الإطلاقة الهامة عن الأديب الفذ (يشار كمال) الذي يقف في مصاف القصاصين العالمين الكبار ، بالقدر ذاته الذي يقف به كروائي عظيم في الأدب التركي المعاصر ، والكاتب الصحفي أيضاً الذي كتب في المسائل السياسية والاجتماعية وفي مشاكل الفن والأدب والثقافة ، والتي ترجمت أعماله المتداولة ومنتشرة واسع في تركيا وخارجها إلى ما يقرب من أربعين لغة في أكثر من خمس وثلاثين دولة ، وفي مائة وخمس وثمانين طبعة أصلية ... ، مما جعله يحصد العديد من الجوائز والنياشين المحلية والعالمية ، ويمنح أكثر من عشر درجات دكتوراه فخرية من دول أوروبا وأمريكا ، ويتردد إسمه في دهاليز (نوبل) عدة مرات ، والتي لولا اشتراكه وتركيبته وبرديته وإسلاميته وشرقيته المسيطرة على كل أعماله لكان من أصحابها منذ سنين ، ومع هذا كله لم يهان أبداً على مبادئه أو فلسفته التي آمن بها .

ويرى الكاتب أن شريان الحياة الذي يغذى عبقرية هذا الأديب المتوقدة والتي تتجلى في قصه المتدفق وسبكه الجياش ومتابعته اليقظة وتصويره النقدي النافذ وخياله الرحب وأسلوبه الفريد وحواره الإنسيابي المنطلق هو عمله في أكثر من أربعين مهنة ، والذي أكسبه زخماً رائعاً عن النفس البشرية وطبائعها ، مما انعكس في كل أعماله التي انتصر فيها للإنسان والطبيعة المغفمة بالثراء ، البعيدة كل البعد عن الطبيعية ، والتي تميزت بقيمة فنية وفكرية عالية نجحت عن جدارة في نقل الأدب التركي المعاصر من المحلية إلى العالمية .

ويستعرض الكاتب بعمق شديد حياة (يشار كمال) ، الذي ولد في شهر أكتوبر (١٩٢٣م - ١٣٤٢هـ) في قرية (كوكجة لي) بمحافظة أضنة ... لأسرة ذات أصول كردية - تركمانية ، هاجرت إلى (جوقوروا) شرقي الأناضول ، خلال الحزب العالمية الأولى . الأب (صادق) يعمل بالزراعة وتجارة الأغنام ، والأم (نيكار) .

بدا الطفل في قرض الشعر ، وعزف الرباب ، مقلداً الشعراء الشعبيين الذين التقى بهم وسمع عنهم في بيت العائلة ، الذي كان يستقبل بعضاً من ثوار الفلاحين ، والمهريين ، والأشقياء الخارجين على القانون ، وشعراء الرباب ، وقصاصي السير والملاحم .

تعانى العائلة الأمرين - بعد فقد الوالد - فى صراعها من أجل البقاء ، فيعمل (كمال) و (أمه) فى الأراضى الزراعية ، ويتم تعليمه الابتدائى وهو يعمل فى مصنع للغزل وورشة للأحذية أثناء العطلات الرسمية ، ويتفوق فى الدراسة ، ولكنه يقرر تركها فى نهاية المرحلة الإعدادية رغم محبة معلميه واعتراضهم ، وعندما ينال منحة تعليمية إثر إحدى المسابقات ، لمواصلة الدراسة ، يصير على موقفه ، ويتنازل عن المنحة لواحد من الأطفال المهاجرين .

كانت الحياة بالنسبة له هواء طلقاً فسيحاً ، فينتقل إليها حسراً مطلقاً بجناحيه ، وهو مازال طرى العود غص البنيان ، حيث يترك نفسه للعمل كأجير فى حقول القطن ، وعلى ماكينات التراس خلال موسم الحصاد ، وحارساً لمياه الري فى موسم زراعة الأرز ، وحارساً لبساتين البطيخ والشمام والخضار خلال شهور الصيف ، ومشرفاً للبناء ، ومقاولاً للأنفاق ، ومدرساً احتياطياً فى إحدى القرى ، وجابياً فى شركة للغاز ، كما يمارس بغض المهن الأخرى ، حتى غير وبدل ما يزيد على أربعين مهنة ، ليسكن فى قلبه مختلف ألوان القهر الإجتماعى ، ويعيش شتى أنواع الإستغلال : إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان

وخلال هذه السنوات يظهر الفتى ميلاً كبيراً للادب وجمع التراث الشعبى ، فيتجول فى أنحاء (جوقوروا) متخطياً الجبال والوديان والوهاد وراء الماثور من الشعر ، والمثل ، والسير ، والملاحم ، والبيكانيات .

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، يلعب الأخوان (عارف دينو) و (عابدين دينو) - من القادة الإشتراكيين التقدميين المعروفين فى تركيا - دوراً إيجابياً مهماً فى خلق علاقة حيوية بينه وبين التطور المعاصر للعلم والفكر والأدب والفنون والثقافة فى العالم ، فتتصلب المفاهيم الديمقراطية عنده ، ويتعرف على الماركسية والأفكار الإشتراكية ، مما يضعه على اتصال مع الحلقات الثقافية والسياسية والاجتماعية المتعددة .

ويقول (يشار) عن الأخوين (دينو) : " كانا إنسانين نوى روح عظيمة بالنسبة للفكر الأكثر تقدماً آنذاك ، علاقتهما كانت ممتعة للغاية . أنا كنت إنساناً من الشعب ، من قاع المجتمع ، يعمل فى حراسة مياه الري والفلاحة ، وهما كانا من كبار المثقفين والمفكرين ، لقد شملاننى بالرعاية وقادانى إلى الفكر والأدب العالمى : إلى دون كيشوت وماركس وإنجلز ولينين وفوركى ، وأنا استقبلتهما وقدمتهما إلى الأجراء المزارعين ، إلى المطحونين فى حياتهم ، وإلى الشعراء الشعبيين ، إلى المراثى والتهكمات الشعبية " .

ويقوده (عارف دينو) إلى كنز حياته ، عندما يجعله يعمل ساعياً فى مكتبة " بيت الشعب " بأضنة ، ليظل يقرأ طوال الثلاث سنوات التى قضاها فى المكتبة ، وخلالها يعقد صداقة متينة مع الكاتب التركى الشهير (أورخان كمال) فى عام ١٩٤٣م - ١٣٦٣هـ ، ليدخل بذلك

أوساط الطبقة العمالية العاملة والحركة الثورية العمالية .
وفى عام ١٩٤٦م - ١٣٦٦هـ يغادر (يشار) أضنة إلى أنقرة وإستانبول ، ويتصل
بالأوساط السياسية والأدبية اليسارية ، ويخوض حياة ثقافية وسياسية اجتماعية حية ،
ويعايش عن كسب إرهابات تعدد الأحزاب فى تركيا وانتقال الصراع والنقاش والجدال
من السياسة والديمقراطية إلى الدين والعلمانية ، وخلالها يكتب أولى قصصه القصيرة (
حكاية قذرة) ، كما يقوم بدور فعال فى تطوير النشاط الأدبى لما يسمى (البيت الشعبى
(فى أضنة والذى كان يجمع لحسابه المواد الفولكلورية بالإضافة إلى مواد أخرى لكتابات
المستقبلية .

وفى عام ١٩٤٨م - ١٣٦٨هـ يكتب قصتيه (الرضيع) و (دكانجى) ، ويشارك
فى الحياة السياسية والاجتماعية فى المدينة ، كما يقود معركة إلغاء زراعة الأرز فى الأقاليم
لما تسببه من ملاريا فتاكة .

يتهم ملاك الأرض الكبار وإقطاعيها (يشار كمال) بالنشاط الشيوعى والعمالة
لروسيا ، يعتقل فى ٣ أبريل ١٩٥٠م - ١٣٧٠هـ ، ثم يودع سجن قوزان ، حيث يتعرض
للتعذيب الوحشى ، ويطلق سراحه بعد خمسة شهور ، لكنه يظل دائماً تحت الملاحظة
والمرابة والمطاردة ، وكثيراً ما كان يستدعى إلى أقسام البوليس ، ليذوق طعم العذاب من
جراء ملاحقة الملاك والإقطاعيين ، والافتراءات والتهم الكاذبة التى كانت تحاك له .
يعمل (يشار كمال) عرضحالياً لفترة أخرى ثم يعمل فى شركة للغاز لعدة شهور ، وفى
سنة ١٩٥١م - ١٣٧١هـ يكتب روايته (شجرة الرومان التى فى الجب) بعدها يعود إلى
استانبول ، ليلتحق بقسم (أخبار الوطن) كمحرر تحقيقات صحفية فى جريدة
(الجمهورية) .

أصبح (يشار كمال) يعيش ويلفت الأنظار بتحقيقاته الصحفية البارزة ، التى تنتقد
الأحزاب السياسية البورجوازية ، مطالباً وداعياً إلى إعطاء حريات أوسع للجماهير ، وإلى
المحافظة على الدستور والقوانين وحقوق الإنسان ، ويفوز بجائزة (جمعية الصحفيين)
عن أحسن ريبورتاج صحفى ، ليصبح أحد أشهر كاتبى التحقيقات وأكثرهم موهبة فى
تركيا ، فيقبل للعمل فى الجريدة كمصحح أولاً ، ثم يصير محرراً .

ويشهد عام ١٩٥٢م - ١٣٧٢هـ صدور أول مجموعاته القصصية " القيث " ، وفى عام
١٩٥٥م - ١٣٧٥هـ يكسب جائزة أحسن رواية من مؤسسة (وارلق) ، وفى أثناء العام ذاته
ينشر (الصفيحة) ، فتحدث دويماً فى الأوساط الثقافية والفنية ، وفى عام ١٩٥٧م -
١٣٧٧هـ يتوالى إنتاجه بفنارة .

ويستقل من جريدة الجمهورية فى عام ١٩٦١م - ١٣٨١هـ ، ليكون من بين الأوائل الذين

احترقوا الأدب ، وجربوا أن يعيشوا من نتاج أقلامهم بشكل مستقل ، ولم يكن الأمر سهلاً ، بل لقد عانى الأمرين حتى أصبح وجهاً لوجه أمام القارىء ، وكانت هذه الخطوة الاستقلالية والمواجهة التى وصل إليها بمثابة قفزة ، أو ومضة أضاعت الطريق أمام الأدب التركى ليشق طريقه نحو أفاق أرحب .

ويتابع (يشار) نشر رواياته وكتابات الأسبوعية ، ويشارك فى تأسيس وإصدار وتحرير عدة مجلات ذات اتجاهات تقدمية خلال عامى ٦٢ - ١٩٧٤م ، ويحمل على عاتقه بعض المسئوليات المؤثرة فى تأسيس حزب العمال التركى فيما بين عامى ٦٢ - ١٩٦٩م ، كما يختير رئيساً مؤسساً لصندوق كتاب تركيا ورابطة الكتاب فيما بين عامى ٩٠ - ١٩٩١م . ويشير الكاتب إلى أول قصص (يشار كمال) القصيرة والمسماة " حكاية قفزة " التى كتبها أثناء تأديته الخدمة العسكرية ، وهى ضمن مجموعته الأولى " قيظ " التى صدرت عام ١٩٥٢م - ١٣٧٣هـ ، كما ظهرت أيضاً قصته (الرضيع) المطولة بعض الشئ فى عام ١٩٥٣م - ١٣٧٣هـ ، الذى قدم فيها بنجاح ساحق قيمة الإنسان ، ومطالب الفلاحين المحننين وأمالهم فى منطقة (جوقوروا) ، وفى خلال عام ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ جمعت قصصه وحكاياته فى كتاب (الصفيحة ، قيظ ، وحكاية قفزة) وهى هذه المجموعة المترجمة .

ويصنف لنا الكاتب قصص (يشار كمال) وحكاياته إلى مجموعات رئيسية هى :
- قصص تتناول الظروف المعيشية القاسية للطبقة العاملة والمعرضين للجوع والحرمان والاستغلال والقسوة من الطبيعة والانسان والمجتمع مع الرغبة الصادقة فى حياة إنسانية أفضل وأجمل وسنرى ذلك فى (الرضيع) و (العنزة) و (القيظ) .
- قصص تتناول الرغبات والميول الانسانية العامة ، الرغبة الجامحة ، الشوق الجارف ، والخداع والولع الذى يسيطر على بعض من النفوس البشرية ، مثلما نرى فى (البعوض والطيور المهاجرة) ، (على قارعة الطريق) .
- مجموعة يغلب عليها طابع العلاقات الاجتماعية والرغبة فى الوجود والسمود ، حيث نجابه بنضال الفلاحين الفقراء من أجل الوجود المستقل ، ونجابه أيضاً بالقوة الاقتصادية للإقطاعيين والتجار المستغلين الذين يودون قهرهم وقمعهم ، بل مص الدماء التى تجرى فى عروقهم .

ويحدثنا الكاتب عن بداية النجاح الحقيقى ليشار كمال فى عام ١٩٥٥م - ١٣٧٥هـ بظهور قصته الطويلة أو روايته القصيرة (الصفيحة) وهى واحدة من أجمل أعماله ، التى أعيدت طباعتها مرات كثيرة ، وتم مسرحتها فى عدة مواسم مسرحية من قبل كبار المخرجين والممثلين ، والتى نجحت لوحاتها الحية والمقنعة والصادقة فى الكشف عن



بعض العمليات والتجاوزات الموجودة فى المجتمع التركى خاصة بعد الحرب العالمية الثانية. وتتسم (الصفيحة) بتشكيلها البنائى وسياقها الديناميكى مع تجنبها التصوير المباشر والمشابه ، الذى ينتقل من حلقة إلى حلقة ، متتبعاُ الصدام الأساسى بين الحاكم المحلى والملاك المستغلين من ناحية ، ونضال الفلاحين من ناحية أخرى ، بالإضافة إلى استخدام العنصرين ، الوثائقى والريبورتاجى دون أن يخل بالخصوصية الفنية للقصة .

الطير المهاجرة

يشار كمال

تباشير الصباح تبدو من بعيد ، والأبخرة الرقيقة تملو سطح الأرض . رويداً رويداً تتجه نحو السماء .

(جوليهار) حضرت إلى الحقل فيما قبل السحر . لم تستطع بعد التفرقة بين عيدان القطن والأعشاب الأخرى . ستشرق الشمس بعد قليل ، وهي تعلم كم ستكون قانطة محرقة ، وأنها ستبتلطي تحت لهيبها ، وإن أنفاسها ستقطع ، والعرق سيغرقها ، وتراب الأرض يكويها . ولكنها تنتظر بزوغها بفارغ الصبر .

كانت تقف مستندة على فأسها مستغرقة في التفكير . وفي الأفق البعيد ، وفوق قمم الجبال . بدت خيوط الضوء . تراءت كرات السحب البيضاء .

لقد مضى علي سفر (محمود) تسع سنوات بالكمال والتمام . (محمود) كان رجلاً متناسقاً ، طويل القامة قارعها ، عريض المنكبين ، لامع العينين أسودهما ، غليظ الشفتين . كل الذين يعرفونه يؤكدون أنه لم يأت إليها من هوفي تناسق (محمود) . بل لم يأت إلى هذه الدنيا ، فهو نموذج ليوسف زليخة .

(محمود) لا يملك في القرية سوى دونيمات خمسة . حقل بهذه المساحة لا يمكن أن يكفي أسرة حتى ولو كانت مجرد زوج وزوجته . بعد زواجهما بشهرين فقط لم يتحمل (محمود) قسوة الفقر ، فهاجر إلى بلاد الغربة سعياً وراء العمل .

وقبل سفره قال لجولبهار : عليك أن تزرعى وتحصدى الحقل وتتعيشى منه حتى أعود .
كان زهابه هو هذا الذهاب ، لم تسمع منه صوتاً أو خبراً عنه . وإنقطعت كل أخباره ..

(جولبهار) لم تمل الإنتظار .. قضت التسع سنوات وهى تنتظره ، كل يوم ، كل ساعة ، بل كل لحظة فى شوق وحنين .

يزداد إليه الشوق والحنين فى بعض الأحيان ، ويتأجج داخلها . خاصة أثناء مرور (الطيور المهاجرة) فوقها فى السماء ، ففى سماء هذا الوادى المنبسط تمر قوافل الطيور المهاجرة ، أحياناً فى أسراب متتالية . وأحياناً أخرى على موجات وأفواج ، تارةً فى حلقات ، وتارةً أخرى على شكل خط مستقيم ، وأخرى على شكل مثلث .. كأنها قد الصقت فوق السحب البيضاء . نقط سوداء .

(جولبهار) امرأة جميلة شابة ، قد طلبها الكثير من شباب هذه القرية ، وقرى أخرى . ولكنها قالت : " محمود ، ولا أحد غير محمود " .
لم تغير تلك السنين فيها أى شئ ؛ فما زال نهداها مشترنين ، وخصرها نحيل ، واليتاما ملفتان شهيتان .

كانت شفتاها المتوردتان ، وعيناها العسلتان تظهران أنها منذ الوهلة الأولى امرأة راغبة ومرغوبة . ولكن طوال هذه السنين التسع لم يلمس يدها آخر . لا يمكن القول إنها كانت عندما ترى رجلاً أنيقاً أو شاباً فتياً لم تكن تتحرك عواطفها أو كوامنها ، أو تتنازعها الرغبة ، وحتى ذلك لم يكن لتسامح نفسها عليه ، بل كانت تويخ نفسها ، وتعد ذلك خيانة لمحمود الذى أحبته هو فقط . كان الكثيرون فى القرية لا يملكون أنفسهم من التنهيدة عندما تقع أعينهم عليها .

فمنذ سفر (محمود) وهم لا يتركونها فى حال سبيلها ، بل ضايقوها بكل ما يخطر على البال من صنوف المضايقات ، حتى وصل الأمر أن حاول البعض الاعتداء على عرضها واغتصابها قهراً ، بعد أن تمكن من فتح بابها والولوج حتى فراشها . أما (جولبهار) التى كانت أقوى من أى رجل ، فقد أمسكت به وضربته ضرباً مبرحاً حتى الموت ، ربطت يديه ورجليه وألقت به أمام باب البيت ليكون عبءاً لغيره .

الليالى جحيم بالنسبة لها ؛ ففى بعضها لم تكن لتذوق طعم النوم حتى الصباح ، جسدها السنة لهب تتحرق شوقاً للرجل . كل ليلة وهى فى فراشها ، وهى تعيش هذه اللحظات المحرقة ، كان (محمود) يترأى لها .. يترأى .. ثم يلاشى .

فى القرية تدور الكثير من الروايات عن (محمود) ، كلها تتحدث عن عدم عودته

على الإطلاق ، معيشته فى المدينة . زواجه من فتاة تعيش فى القصور العالية ، وأنه أصبح صاحب مزرعة وسيارة . وهناك شائعة أخرى تقول إن (محمود) كان يشتغل بواباً لدى صاحب مصنع كبير . وذات يوم ، بينما كان (محمود) يصطحب ابنته الوحيدة عند ذهابها وإيابها من المدرسة ، هامت به الفتاة حباً ، ما إن سمع الأب ذلك حتى سعد به كثيراً ، وقال لابنته : أحسنت صنعاً يا ابنتى ، فمن يدري ؟ كم سيكون أحفادى من هذا الرجل الوسيم رائعين . زوجها على الفور ؟ بعد الزواج بمدة قصيرة توفى الأب صاحب المصنع ، لم يكن هناك غير ابنته لثرتة . شائعة أخرى تحكى أن " كل دورموش " رآه ذات يوم فى المدينة وعرفه ، فكر أن يتقرب منه ليحدثه فجرى نحوه ، وقف أمام السيارة ، السيارة سوداء فخمة ، و(محمود) جالس فيها وقد ارتدى حلة زرقاء ورباط عنق أحمر . كان فى ملبسه ومظهره أكثر أناقة من القائمقام .

فوجه حديثه نحو " كل دورموش " متسائلاً :

- ماذا تريد ؟ قل : لماذا قطعت طريق هكذا ؟

فقال " دورموش " :

- ألم تعرفنى يا محمود ؟

نظر (محمود) إلى وجهه ملياً ومتفحصاً ، ثم قال لسائقه :

- هيا ... سر .. وانطلق بسيارته مبتعداً .

لو لم ينسحب " دورموش " قليلاً لدهمت السيارة وصرعت . لم تكن (جولبهار) تصدق أياً من هذه الروايات . إنه قد ذهب لكى يكسب ثروة تمكنه من شراء منزل ، وحقل يكفى لإعاشة أهل هذا المنزل . إنه لن يرتكب إثماً ، ولن يحل لنفسه ما حرمه الله . ولن ينظر لامرأة أخرى حتى ولو بطرف عينية .

كانت دائماً تحاول أن تقنع نفسها بهذا ، لكنها لم تنجح فى ذلك قط .

ما إن أوشك النهار على البزوغ ، وقمم الجبال يلفها النور حتى شمل الضباب كل الودى . غطى التربة الغاضبة وكأنه ستارة من التل الأبيض . غيطان القمح الأصفر ، حقول القطن الأخضر ، أقراص عباد الشمس الأحمر ، كانت كلها ، مع نسيمات الصباح ، تتمايل وتحنى ثم تعاود النهوض والارتفاع كأنها أمواج متهادية .

(جولبهار) تنتظر بزوغ الشمس من ناحية ، ومن ناحية أخرى تهاب هذه الشمس البازغة . تملكثها الشهوة من قمة رأسها حتى أخمص قدميها . فى هذه اللحظات ، لو صادفها أى رجل ، لو أمسك بيدها ، وقادها حيث يشاء لسارت خلفه منقادة مستسلمة ، ولكنها تشكر الله كثيراً لأنها لم تصادف أى رجل خلال هذه اللحظات العصبية . سقطت الفأس من يدها . التربة طرية ساخنة ، فتحت (جولبهار) أزار صدرها .

أخرجت نهديها . تمددت على الأرض ووجهها إلى أسفل . بدأت تزحف على التربة الساخنة وهي تتأوه كلما لامست الأغصان الحادة ثدييها أو حتى مزقتهم الأشواك الدقيقة الطرية . كانت تزداد تهيجاً وتمرعاً في التراب دون أن تمسح ثدييها الداميتين . كانت تزحف هكذا حتى تصل إلى الطريق الترابي . تتلوى ، ثم تعود متلوية متلوية .

النهار قد طلع . (محمود) قادم ، وقد ارتدى بدلة زرقاء ورباط عنق أحمر تفوق حمرة قرص الشمس أو وهج اللهب ، وحذاء أحمر لامعاً . شفتاه ورديتان . (محمود) قادم .. فرحة .. بهجة .. صيحات الفرح تدوى في الوادي .. (محمود) قادم . الآن سينزلان إلى الربيع . تلاقيا ، احتضنا ، صار الجسدان بدنأً واحداً . كانا يشتعلان كاللهب غرقاً في الشهد والعرق .

(محمود) حسن الهندام ، يفوق أبناء المدينة . حتى إنك لا تجرؤ على لمس يديك . تسمر " دورموش " في مكانه مبهوراً ، فقميص (محمود) ناصع البياض ويده كذلك . واضح أن يديه منذ نهابه وحتى إياه لم تعرف الشقاء . واضح جداً من طراوة وجهه ولمعانه .

كان " دورموش " يبتسم أمامه . شفتاه ، كم هما جميلتان . وعيناه ، كم هما سوداوان . ظلاً واقفين وجهاً لوجه لفترة ما . في يد (محمود) صرة ، سقطت الصرة من يده على الأرض ، واضح أنها ممثلة . وأن بها أشياء كثيرة .

حال (محمود) ، كل تصرفاته تطلب الصفيح والغفران . يتلعثم : الأمر .. كذا .. الموضوع .. هكذا . لم تنفذه كل الحيل . لم يجد في نفسه متسعاً للف والدوران . أخيراً قال : ها أنذا قد عدت إليك . لم تكن (جولبهار) قد سمعت أى شئ مما قاله . إن كل لحمها وشحمها يتلظى من الهيام ، فزوجها وعشقها ورغبتها التي انتظرتها وتحملتها لتسع سنوات ها هو أمامها ، ينتظرها . لن يستطيع أى بشر أن يراها هنا بين شجيرات الطرفاء

مد (محمود) يديه نحوها .. على وشك الإمساك بها . ولكن (جولبهار) ردت ، سحب يدها ، ترتعد وكأنها لامست قضيباً من الحديد الملتهب .

تحولت (جولبهار) فجأة إلى نمره مفترسة على وشك أن تهجم على (محمود) لتمزقه ، تود أن تفتق عينييه وتشوه وجهه ولكنها تماكنت نفسها في آخر لحظة : " لا يستحق " .

كررتها في نفسها " لا يستحق " .

تكون ظلال الغيوم .. فى لحظات أخرى ظلال الطيور العابرة هى التى تنتشر فوق الأرض المنبسطة .

كالعادة ، خيوط الفجر تكاد تبدو ، (جولبهار) فى يدها فأسها قد انتصبت وسبط حقلا . تنتظر انبثاق الضوء لكى تعزق قطنها .

فجأة تسقط الفأس من يدها . التربة طرية لينة ساخنة . التربة صامتة لا تصدر صوتاً .

إن جسد (جولبهار) يلتهب ، بدنها يحترق . لو أتاها صبى وأمسك بيدها ودعاها حيث تلك الأكمام لما قاومت ، لذهبت . إن الشهوة تتفجر من كل ذرة من نرات جسدها . بدننا يشوى ، ورائحة اللحم المشوى تزكم أنفها .

إنها تزحف وقد فتحت نهديها . كلما غاصت بهما الأغصان أو أدمتهما الأشواك . وكلما أدميت ، فإن كل جسدها ، لحمها ، عظمها ، جلدها ، وجدائل شعرها ، كل كيائها يتمطى بوله كبير مجنون .

ينقشع الظلام عن قمم الجبال . وبينما الأبخرة تتصاعد من سطح الأرض متهداية . ماذا ترى ؟ إن (محمود) قائم وسط الضباب . لا تستطيع أن تخمن ماذا تفعل من فرط الفرحة ، تدوخ ، تلف وتدور حول نفسها . تستكين ، تهدأ ، ثم تنطلق جارية نحو (محمود) . (محمود) فى قمة أناقته : قميص ناصع البياض ، جوارب من الحرير الخالص . مندبل موضوع فى جيب الجاكت ، حذاءه أحمر لامع . عيناه كالوميض . رموشه طويلة ، وجهه لم يتغير ، أسمر محروق . يبتسم بطلاوة . لطيف إلى حد كبير ، يضحك . يقول شيئاً ما . فى يده حقيبة كبيرة . يخرج من الحقيبة فساتين حريرية بلا عدد ، متنوعة الألوان . أنواع مختلفة من الروائح ، أحذية ، مرايات ، اقراط ، أساور وجردانات . ملابس أطفال . كل هذه على طراز المدينة يتلألأ على تراب الأرض السوداء .

- هيا .. هيا يا كلب هيا .. هيبيا .

يرتعد (محمود) ويخاف . إن هذا الصوت يروع ويفزعه لدرجة أنه يهرب دون أن ينظر خلفه . ومرة أخرى تصعد (جولبهار) على الكومة المرتفعة . وتتابعه حتى يغيب عن عينيه ، مختفياً بين الغبار المتصاعد .

وبمجرد أن يغيب (محمود) تعود إلى الندم : " ليعد " ساقبل قدميه . لن أجعل يديه تمسان أى شئ . ليسترح هو ، وأعمل أنا .

سيتبزع الشمس ، سيعم الضياء حتى يشمل شجرة الحور الضخمة .

تسقط الفأس التى فى يدها .

ثدياها الورديان فوق التراب الساخن .

رفعت رأسها . ماذا ترى ؟ (محمود) قد امتلأ صهوة جواد مطهم أصيل . كم كان (محمود) أنيقاً ووسياً . فى قدميه الحذاء اللميع ، وشاربيه مبروم كأنه من فرسان الملاحم . تمد يديها ، (محمود) فوق صهوة الجواد ، ستأخذه إلى أحضانها فترى اللجام وحزام السرج مطعمة بالفضة ، أما السرج فمشغول ، ما إن تسقط أشعة الشمس عليهم جميعاً حتى تالفهم الأشعة الذهبية . فيمد (محمود) يديه . تتجمد (جولبهار) فى مكانها ، يترجل (محمود) . يريد أن يحتضنها ، ويقلبها ، ترتعد ، تنتفض .

- هيا .. هيا أيها الكلاب .. هيبيا .

يمتطى (محمود) صهوة جواده . ليسوقه ، ينطلق الفرس كالريح وسط الحقول . وفوق زهور عباد الشمس حتى يغيب عن العيون .

تتظر (جولبهار) إلى نفسها فى المرآة . كم هى جميلة أجمل مما كانت عليه عند زواجها . من يدرى كم كان عمرها عندما زوجها منه .

لقد أتقنت فلاحة حقولها هذه السنة ، مما يجعلها متأكدة أن حقولها سيعطى خمسة أمثال الأراضى الأخرى . فعيان القطن النامية وأزهاره ولوزاته تبشر بالخير . ما إن يراها أى إنسان حتى يتملكه العجب والدهشة .

تحقق ما كانت تأمله ؛ فلقد تفتح القطن كله لدرجة أنك لا ترى فى الحقل سوى القطن الأبيض فقط . لا خضرة ولا ورقة .

الآن أيضاً ، ستجمع (جولبهار) قطن حقولها وحدها . وصلت إلى الحقل مع خيوط الفجر ، بل قبلها . لم تنم ليلتها ، فلقد استعرت فى فراشها . قضت الليل كله وهى تتقلب فى فراشها محترقة ومحتركة شوقاً .

وهى تجمع القطن تسمع صوت سيارة . فترفع رأسها . السيارة قادمة ، تقترب منها حتى تقف بجوارها . كانت سيارة سوداء ، فخمة ، قد غطاها الرماد والغبار . ينزل (محمود) من السيارة . لم تستطع (جولبهار) أن ترفع رأسها وتتنظر إلى (محمود) .

التربة حارقة ، لا تستطيع (جولبهار) الحافية القدمين أن تصمد دقيقة واحدة فوق التراب الساخن ، فكانت تغير مكانها باستمرار .

(محمود) يمد يديه إليها . يقدم إليها شتى كلمات الاعتذار ، ولكنها لا تسمعه . (جولبهار) لا تسحب يديها .

تحت أكمات الطرفاء بضع أعشاش للطيور . الآن قد أفرخت تلك الطيور . أفواه الأفراخ الصغيرة صفراء من حين لآخر تفتح أفواهها فتبدو كبيرة ضخمة .

بعض الأشياء تربط عنق وحلق (جولبهار) وتختنقها فلا تخرج .

- هيا .. هيا يا كلب هيب

فتنظر إلى يديها إنها ذات بثور وتواء ، مقشقة . تشبه غصن شجرة ذابل . تسع سنوات وهي تعمل فى كل شئ فى البرد القارس . الأرض ، الصخر ، العزق ، الحصد . فهل يبقى فيها خير . حتى قدماها المتسختان قد تشققتا . يغلفهما الوسخ الأسود ، جلدها لا يرى من الوسخ . أظافرها الطويلة ممثلة بالأووال .

- هيا .. هيا أيها الكلب ... هيا ..

لا يسمعها أحد ، يسحبها (محمود) إلى السيارة ، داخل السيارة ويثر طرى لين ، منعش أيضاً .

تدور السيارة فجأة بضوضاء تصم الآذان وتتعلق . تحس (جولبهار) أن حقلها وقطنها الأبيض قد ابتعد كثيراً .

(محمود) :

- لبيب .. لا يهك .. ثم يتابع حديثه قائلاً :

- لدينا قطن كثير .

يضحك : وهل هذه الكمية من القطن تعد قطناً .

تصرخ (جولبهار) بكل قوتها :

- هيا ... هيا يا كلب .. هيبيا . لقد ضيعت تسع سنين من الكد والعمل فى هذا

الحقل . هيا .. هيا أيها الكلب هيا .

تفتح باب السيارة وتلقى بنفسها خارجها ، تزحف على التراب . ثدياها متوردان داميان . تسيل منهما الدماء يغطيها الغبار المندفع من السيارة المنطلقة . تفرق فى الغبار ، تكاد تختنق . تظل زاحفة حتى تصل إلى حقلها . وما إن تصل حتى تبستشوق رحيقه بعشق وهيام وتوله .

تنهض واقفة . تتمطى فاردة خصرها الذى انثنى .

تنحنى من جديد متخطفة لوزات القطن الأبيض المفتحة .

فى البداية يمر سرب من الطيور المهاجرة ، تمتد ظلاله فوق القطن الأبيض ، ثم تتلوه ظلال غمامة بيضاء صغيرة .

(جولبهار) تشـعر بعطش مدهش .

الدور على الغرياء

يزيد الديراوى
(فلسطين)

فى الغرفة مروحة تقطف أبخرة عن جسدى،
صور للذكرى،
أوراق فارغة تعبث بهواء رطب،
وبخان يرقص كالشعر
ويلهو فى الضوء، يؤسس كونا مختلفا.
تعب هش يضبط خطته ليموت.
قميص تركته ليكسر أنفاس قصيدتنا..

«من أنت لتخلقنى» قالت،
قلت: «أنا أنت ولكنى
أعرف كيف أخادع تلقى المتكس كالنور

وكيف أرتب أنفاسا من نارنج،
وأفتح نافذة في الأفق
ونافذة في القلب لأعرف كيف يحاسبني الله..
ولست إلها صوفياً كي أسكن هذا القلب وأصعد نورا مع روحك حين تريدني..

في الغرفة، تساقط مني الكلمات لتردف قافية حمراء، وساكنة كغروب الشمس، بلا
تأويل أو حتى نقد أهبل. قافية تغمض عيني لتبدأ.. قافية تخضر لتورق أزهارا
وخيوطا تحملني..

قافية من وجع شرقي: كيف يليق بنا أن نصبح إفين بلا عرس يبعدنا، أو حتى تدبير
فوقى يعدل عن قول: «الحلقة نور..»

الحلقة نور، مثلك، ينتظر، فكن أنت ولا تخش..

وكسر كل أصابعك الحمقي، كي تخرج منك إليك، يضيق الليل هناك، ويتسع النور،
فتصبح أنت قصيدتك وأنت قصيدتها.

نافذة تكتب قصة مجنون لا يحمل ليلاه على كفيه ويرقص..

لا ورد على شفتيه ولا ورد هناك يهندس، كالنملة، أرصفة للرؤيا. لا شيء هناك سوي
لا شيء ولا شيء ومجنون..

من أين يجي الناس وفي أعينهم مدن تدمن تبديل السكان،
وأرصفة حمراء كليل أندلسي بيكي.

من أين يجي الناس فرادى مكسورين، يجرون كحال الصوفي، من الأرض إلى
الأرض،

خريفا صيفيا..

ويمر النهر على أعينهم مرتبكا كنبى يحمل قلبا أندلسي الحزن ويهمس للضوء..
لماذا تحمل فجرا، في عينيك،

يودعنا

ولماذا تهرب حين نناديك؟
تقول: غدا،
سيجيئ الدور على الغريباء
أقول: غدا،
سيجيئ الدور على الشهداء.

في الغرفة يذبحنى الصمت
وتنسيق الشعر على هيئة قبعة يحملها الريح شمالا...
وجنوبا حيث النيل يخك الأرض ويومئ للسحب:
«ترافقنى يا قدرى..»
وأرى فى أول دريى آخره، وأرى آخر دريى من أوله..»
(والقدر حليف نهايتنا)

فى الغرفة لهجة بدوى:
«يا ربي،
يا رب المكسورين أغثنا، واخفض لى ليلا من نور يبصرنا».

فى الغرفة أعشق ما تكتبه الجدران على وجهى،
رائحة الموت تنز - كما النحلة - حين تمر على ضلفة شياكى المكسور،
هشاشة تعب يضبط خطته
لأموت.

وردة صفراء

مازن نبيل - ١٤ سنة

كان الميدان مزدحماً، والسير صعباً في ذلك الوقت، ولكن على سامي أن يسرع قبل فوات الأوان، أخذ يجري ويجري، ويصطدم بهذا، وذاك، ويمر بين الزحام مسرعاً، حتى قفز في سيارة أجرة أخيراً، واستطاع السائق أن يخرج بسيارته من الزحام ومرت دهور حتى تحولت الإشارة إلى الأخضر، فإذا بالسيارة تتعطل، فزفر سامي: (هوده وقته) فترك التاكسي وسار على قدميه مسرعاً فكان أن صدمته سيارة قادمة، وغاب عن الوعي. جاءت سيارة الإسعاف ونقل سامي إلى المستشفى فإذا به يفيق على فستان أسود تقف فيه أخته والدموع في عينيها.

- خلاص؟

- (في همس) أيوا .. خلاص!

كان نفسى أشوفها!

كان يعلم أن أمه تصارع مرضاً لعيناً السرطان. وكان كل حلمه أن يراها لمرة أخيرة، لذلك قطع عمله في روسيا واستقل أول طائرة لمصر ولكن يدخل الطبيب ويهمس في أذن شقيقة سامي منزوياً وراء الباب. تدخل الغرفة فيسارع بسؤالها:

- هو الدكتور قالك إيه؟

تصمت، وتضع يرفق وردة صفراء فوق غطاءه ثم تتركه. استطاع سامي أن يحرر يده المشدودة برباط إلى سريره المعدني ويمرر يده ليلتقط الوردة فتصطدم أصابعه بساقه التي لم تعد هناك.

الممر

خالد أشرف عامر

تطلعت حولى كثيراً ولم أر أحداً، وما هذا الظلام الذى يلفنى أين أنا كل ما أتذكره اننى كنت .. لا أذكر أشعر وكأن هذا هو اليوم الأول لى فى الدنيا منذ خلقها الله، عجباً من وضعنى فى هذا المكان الضيق ولماذا لا أستطيع التحرك؟ هل أنا مقيد لا اعتقد هل خطفنى أحدهم؟ لا أذكر كل ما أحس به هو أننى أريد الخروج من هذا المكان منذ متى وأنا هنا وإلى متى سأظل.. ما هذا أنى أسمع أصواتاً نعم أنها بالفعل أصوات وأشعر بحركة كأنها مثل صوت امرأة تصرخ لماذا تصرخ، هل تحتاج إلى مساعدة ، لىتنى أستطيع التحرك كنت ساعدتها.. ما هذا هناك من يجذبني إلى أين تأخذني يا هذا؟ إنه يجذبني عبر ممر ضيق للغاية كل ما أشعر به هو أننى أختنق وأن صراخ السيدة بدأ يقترب، ما هذا لقد بدأ نور فى الظهور وبعض الهواء يلقح وجهي والممر الضيق اقترب من أن ينتهى وصراخ السيدة يتعالى، وأخيراً صمتت السيدة وانتهى الممر ورأيت النور ولكن هناك من يحملني من هو ومن هذه المرأة التى تجلس على السرير، ما هذا لماذا يضربني هذا الرجل؟ ماذا فعلت له كى يضربني، لم أقر على تحريك ذراعى للرد عليه فاناطلقت فى البكاء لإحساسى بالظلم وهو يضربني دون جواب مني، وأنه يقول شيئاً فلاستمع إليه «مبروك يا مدام ولد زى القمر» .. «الحمد لله.. الحمد لله» .. ما معنى هذا الذى يقال .. لا أدري ولكنى أريد العودة حيث كنت قبل ذلك.

إشارات

نبيل الهلالى

لست أنكر أنني التقيت به سوى مرة واحدة وذلك عندما ذهبت إليه فى مكتبه فى أواخر سنة ١٩٧١ لاستعين بنبوغه القانونى المعروف عنه على ما أصابنى من ظلم على يد وزير الإعلام فى ذلك الوقت الدكتور عبد القادر حاتم، فقد وجدت نفسى مطرودا من عملى كرئيس لتحرير مجلة «الإذاعة والتلفزيون» وممنوعا من العودة إلى عملى السابق فى مؤسسة دار الهلال الصحفية، وبذلك وجدت نفسى فى الشارع، بلا عمل ولا أمل، ولا أذكر الآن تفاصيل ما حدث فى لقائى مع نبيل الهلالى فيما يتصل بوضعى القانونى، ولعله يكون قد أفهمنى بوضوح أننا لم نكن فى عصر يقيم للقانون وزنا، وأن جهندا سوف يذهب عينا، فقد كان القانون غائبا تماما فى تلك الفترة، ولذلك فقد شهد هذا العام عشرات من الصحفيين وأهل الفكر والأدب والرأى وهم يفقدون أعمالهم وبعضهم يدخل السجون، والبعض الآخر يهرب إلى منفى خارج مصر والبعض الثالث من أمثالى لم يكن أمامه سوى مصر وملجأ وحيد هو الشارع.

ورغم مرور حوالى أربعين سنة على هذا اللقاء الوحيد بين نبيل الهلالى وبينى فعازلت أنكر وجهه العامر بالصفا والرجولة والشهامة وصدق التعبير والتفكير وكان هذا اللقاء قد تم بالأمس فقط وليس منذ أربعة عشر ألف يوم على الأقل.

لم أكن بحاجة إلى أى لقاء مباشر مع نبيل الهلالى بعد ذلك لكى تكون صورته واضحة فى عقلى وقلبي، فقد كنت أسمع اسمه محاطا بالحب والإعجاب من الكثيرين، وخاصة من جيش المظلومين وهو من أكبر الجيوش التى عرفتها مصر فى تاريخها كله فما من مظلوم رأيتة إلا وكان على لسانه أغنية عذبة اسمها نبيل الهلالى، ولعلنى لا أبالغ إذا قلت إنه ما من يوم مر دون أن أسمع فيه اسم نبيل الهلالى من فم مظلوم نال عنه، أو مظلوم لديه الأمل فى دفع الظلم عن نفسه.

ما هو سر نبيل الهلالى الذى فقدناه منذ أسابيع قليلة؟

إنه إيمانه الصادق المخلص بالإنسان، وقد أعطانا نبيل الهلالى فى بعض كلماته مفتاحا لهذا السر وذلك عندما شارك فى الدفاع عن الإخوان المسلمين والجماعات الدينية الأخرى رغم ما فى هذا الموقف من تناقض ظاهر بين ما يمثله نبيل الهلالى اليسارى لحما وبين هذه الجماعات الدينية وهى تقول نبيل الهلالى فى كلماته هى منارات للضمير الحر عند أى إنسان فى مجال الدفاع عن حقوق الإنسان؛ «المعيار الأوحى الذى يحدد ما هو الإنسان هو إنسانيته وليس دينه ولا لونه السياسى ولا أفكاره، وقد تولدت هذه القناعة عندى من دروس الحياة التى تؤكد أن التغاضى أو السكوت عن أدنى انتهاك لحريات الآخرين حتى لو كانوا منافسين سياسيين، أو حتى خصوما وأعداء.. مثل هذا التغاضى لابد أن يرتد إلى صدر المتغاضى لأنه يسهل إرساء قاعدة سرعان ما تعم على الجميع بما فيها من شر مستطير» كلام نبيل من نبيل الهلالى الذى يذكره خصومه قبل انتصاره بالحب والتقدير والوفاء لذكراه الطيبة.

رجاء النقاش

